المقال:

حول السياسات الثقافية

بقلم : محمد مزالي

انه لمن دواعي الاعتزاز والغبطة ان اتناول الكلمة (*) فى مفتتح هذه الندوة العالمية حول السياسات الثقافية الملتئمة بدعوة من منظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم التى اثبتت مرة اخرى انها ضمير الانسانية الحى .

وإنى لمعتز بحضورى هنا بعاصمة المكسيك المجيدة فيمستهل هذا اللقاء الذى تحضره نخبة من المثقفين والمفكرين والمضطلعين بالسياسة الثقافية فى بلدانهم للتباحث حول موضوع فى مثل هذه الاهمية ، وانى لمعتز كذلك بما اتيح لى من فرصة للتوجه لهم من اعلى هذا المنبر باسمى عبارات التقدير واعمق مشاعر الاخوة التى يكنها الشعب التونسى وعلى رأسه رئيس الجمهورية المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة .

وان الغبطة لتملأ جوانبى بمشاركتى هذه الوفود الحاضرة في الشعور بالامتنان نحو الشعب المكسيكي وسلطاته على تفضلهم باحتضان ندوة عالمية هدفها دراسة موضوع مصيرى بالنسبة الى مستقبل الثقافة .

وان هذا ليدل دلالة واضحة على مدى ما يكنه مستضيفونا الكرام من تعاطف مع ما يشغل بال كافة المسؤولين الوافدين الى هذا البلد الطيب فى شأن

(*) هذا نص الكلمة التى ألقاها الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول فى ندوة مكسيكو للسياسات الثقافية يوم 26 جويلية 1982 . وقد اخترنا أن تكون هذه الكلمة افتتاحية هذا العدد الاول من السنة الثامنة والعشرين نظرا الى شمولها من حيث الرؤية الثقافية وهى الى ذلك صادرة عن مؤسس هذه المجلة ومديرها وتندرج فى صلب الكفاح الثقافى الذى ما فتئت تقوم به هذه المجلة .

مقتضيات السياسة الثقافية ومناهجها كما يدل على مدى مشاركتهم لنا فيما نعلقه من آمال على اشغال هذه الندوة وما ننتظره منها من ايجابى النتائج .

فقد أصبحت هذه الارض – ولا غرابة – رمزا ومثالا حيا لا يخفى على شعوبنا قاطبة ، وهى محل تقدير كل مفكرينا نظرا الى تعدد التجارب بل المحن فى درب البحث الجاد والشاق عن الهوية الثقافية وعن سبل التوفيق المضنى والاكيد بين التنمية والثقافة وعن اجدى الطرق المفضية الى التفاعل الثقافى قطريا واقليميا ودوليا ، اى ان هذه الارض قد كتب لها ان تعرف فى الماضى والحاضر جميع المفاهيم والقضايا التى سطرها منظمو هذه الندوة بكل حكمة وتبصر وجعلوها اطارا لاشغالها التى ابى السيد المدير العام الا تشريفى بالمشاركة فيها ولا اخاله الا قد قصد بذلك الى التعبير عن تقديره لما تميزت به التجربة التونسية من التوفيق بين نضال مرير من أجل استرداد السيادة السياسية والازدهار الاقتصادى وبين عزم لا ينى من اجل تشريك جميع فئات الشعب التونسى تشريكا ديمقراطيا فى كل القرارات التى ترمى الى تنمية جميع ميادين الحياة القومية تنمية شاملة .

ولعلكم سيدى المدير العام اشرتم بهذا التشريك ايضا الى ما اختص به تاريخ بلادنا حضاريا من متين الارتباط بتاريخ سائر الحضارات العالمية او جلها سواء كانت اوربية قد اثرت فى ماضينا الرومانى والاستعمارى او آسوية ندين اليها بماضينا الفنيقى البونيقى والاسلامى أو بالاحرى العربية والافريقية بانتسابنا الى كلتيهما انتسابا لا مراء فيه ، حقيقا بنفس الاعتزاز منذ أربعة عشر قرنا .

على انه يتراءى لى فى نفس الوقت ان لهذا الاختيار سببا ثالثا استسمحكم فى التلميح اليه وهو ان القصد من تشريك مسؤول سياسى تفرض عليه مهامه تنفيذ توجيهات صادرة عن سامى قرار الرئيس الحبيب بورقيبة وتكليف مختلف الوزارات المختصة بانجازها يكون من قبيل الاشارة الواضحة الى ان ما يسمى بالسياسة الثقافية ليس حكرا على مصالح وزارة معينة ولا ينبغى له ذلك بل هو حق مشروع وواجب مشاع على كافة الوزارات تمارسه بينها بل بين كافة مراكز القرار .

لقد ولى بدون رجعة الزمن الغابر وحل زمن عمت فيه القناعة بان لا بد للقيم الثقافية وللنشاط الثقافى من تغذية شرايين نسيج الجهاز الاجتماعى باسره وان الاعتراف للجماهير بحق الاغتراف من الثقافة يحتم تخويلها حق

المشاركة الواسعة الحرة فى اتخاذ القرار الثقافى ، نعم حل زمن الشعوب الذى يبشر به عنوان كتاب ضمنه ـ ولا غرابة ـ السيد المدير العام لليونسكو حصيلة اعماله على راس هذه المنظمة ، ولا غرابة ايضا ان استشهد سيادته فى سياق افتتاحه لندوة بوغوتا الحكومية المخصصة للسياسات الثقافية بامريكا اللاتينية والكراييب برأى لامع جادت به قريحة المفكر خوسى مارتى عندما قال : «تثقفوا تتحرروا» مضيفا بان ذلك يعد تخطيطا شاملا للمرء فى حياته وعمله ، وان فى ذلك لتنويها بما اسهم به من سخاء الى الثقافة العالمية اقليم نحن اليوم مجتمعون على اديمه وطامحون الى تشريك كافة اهل الثقافة فى العمل على ارساء السلام والامن فى ربوع عالم لم يسبق له فى تاريخه الملىء بالعنف والالم ان تاق الى الامن والسلم توقه اليهما اليوم ٠

ان كل هذا يفرض على بصرف النظر عن تجربتى المتواضعة أو بالاحرى عن ممارستى لنضال ثقافى طبع ـ فى فترات قريبة أو بعيدة ـ حياتى السياسية ان استسمحكم فاقول : إن الخواطر التى ساعرضها على كريم مسامعكم لن تكون تعبيرا عن نظريات أساطنة الفكر الثقافى ومشاهيرهم بل ستكون فى بساطتها لسان حال العدد العديد من اولئك الذين يعملون للشعوب ومع الشعوب والذين هم ينتظرون منكم اليوم مع تلك الشعوب قرارات وتوصيات تصون هوية العديد من الشعوب (بل قل : كافة الشعوب فى الواقع) عن خطر المسخ الذى يهددها ، وتحميها جميعا من خطر اختناق شخصيتها وتدجينها للانماط المستوردة وتقيها من آفة القطيعة والعزلة ٠

ان من المبادىء ما يبهرنا وضوحها عندما نهتدى اليها وهو ما يجعلنا لا نستغرب ايماننا بها بقدر ما نستغرب تأجيلنا عن الاصداع بها والدعوة اليها ٠

ذلك هو شعورى فى هذه الساعة التى احظى فيها بالاسهام ببعض الاراء والمقترحات امام نخبة من خيرة المسؤولين الثقافيين فى العالم وضمن حوار هو اوسع واعمق ما عرفه التاريخ فى شأن السياسات الثقافية ٠

كيف لا والخشية تعمر نفسى من ان اردد كلاما سبق ان قلتموه وان ادعوكم الى امر كنتم قد التزمتم به بل ادخلتموه حيز التطبيق اثناء ممارستكم ببلدانكم شؤون الثقافة خدمة لشعوبكم ، بل خدمة للثقافة الانسانية جمعاء ٠

وهذا لا يعنى انى لا اقدر ، شأنى فى ذلك شأنكم ، جدوى المساعى الدائبة الهادفة التى توفقت اليها اليونسكو فى عقدها لهذه الندوة العالمية المخصصة

لتدارس السياسات الثقافية على ما فى هذا المفهوم من شمول ودقة بل لا يسعنى الا ان اقدم تهانى الصادقة للسيد المدير العام ولاعضاده المياميين على ما اتسمت به الدراسات التمهيدية لملتقانا من رؤية واسعة الافق ونظر دقيق ، فهم بعملهم هذا قد اقاموا الدليل على قدرة منظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم على مواكبة التطورات التاريخية والاضطلاع بمسؤولياتها ازاءها بل وسبقها الاحداث استعدادا لها .

على ان الجدير بلفت النظر هو ان سعى اليونسكو ـ وسعينا ايضا ـ الى تبادل الخبرات والتجارب حول مفهوم السياسة الثقافية ذاتها ثم عزم اليونسكو ـ وعزمنا ـ على توزيع العمل بيننا حسب محاور ثلاثة اولها تحليل مقولة الهوية الثقافية وثانيها التأمل فى البعد الثقافى للتنمية الشاملة وثالها تطبيق مبدا الحرية والمساواة سواء بين الافراد او بين الفئات فى ميدان الخلق الثقافى وكذلك ميدان الاتصال الثقافى انما هما سعى وعزم يعتبران صدى امينا وتعبيرا وفيا هادفا لما قصد اليه مؤسسو نظام الامم المتحدة ذاته ·

الم تروا كيف ان يوما مثل يوم 10 ديسمبر 1948 الذى تم فيه الاعلان العالمى لحقوق الانسان كان تذكيرا بحرية المعتقد والدين وكذلك بحرية الراى وحرية التعبير ؟ ثم الم يعلن فى نفس الوقت الى جانب الحق فى الشغل الحق فى التربية والثقافة ؟ وبالتالى الم ينادى بحق آخر هو تتويج لسائر الحقوق الاخرى مثلما هو شرط أوجودها الا وهو : « الحق فى نظام اجتماعى ودولى يضمن الممارسة الفعلية لسائر ما اعلن عنه من حقوق وحريات»؟

انه يصح القول بان لهذه الكلمات وقعا جديدا فى آذاننا وكانها وليدة اليوم ولكنها فى الواقع لها اكثر من ثلاثين سنة ، فهى نابعة من دفق تلك الروح التى بها تأسس نظام الامم المتحدة ذاك النظام الذى هو اليوم فى اوكد الحاجة الى التزامنا المتجدد بالتعزيز وشد الازر صيانة له من تجاهل المتجاهلين بل واستكبار المستكبرين ممن نسوا او تناسوا ما هم به اليه مدينون ·

الم يقتض ذلك عمر انسان من التحليل والتاليف ليتسنى للامم المتحدة فى سنة 1974 الاقتناع بواجب الالتزام بالنضال من اجل اقرار نظام دولى اقتصادى جديد والتعجيل ببعثه للوجود نشدانا لاعادة النظر فى توازن القوى ومواطن النفوذ سواء كانت اقتصادية او سياسية وسعيا الى ايجاد حوار الند للند اساسه احترام كرامة كل الاطراف واعتبار خصوصياتهم الثقافية ولكن اليس

نصف ما في العالم اليوم من علماء هو مسخر للبحوث العسكرية اى ان اكثر من 600 ألف من خيرة أدمغة الانسانية مجندة لتهيئة الدمار ؟

او لم تالف آذان البشر قعقعة الجيوش الزاحفة حتى باتت لا تأبه لها ولا تستنكرها ؟

ثم اليست افريقيا الجنوبية لا تزال تعتمد التمييز العنصرى العرقى قانونا وشريعة بعد مرور ثلاثين سنة على الاعلان العالمى لحقوق الانسان ؟

ثم اليس فى الشرق الاوسط بشر ينكرون على بشر مثلهم حقهم فى وطن بل ان بلدا هو مدين للامم المتحدة ببعثه للوجود يتفوه بمثل ما تفوه به ضده طغاة الماضى القريب من تهديد «بالحل النهائى» غايته القضاء على الشعب الفلسطينى وكبت صوته ومنعه من المطالبة بحقه فى الوجود استنادا الى ميثاق الامم المتحدة ؟

السنا نرى جيش اسرائيل – المدينة للامم المتحدة بضبط حدودها – يغير من حدود بلد مجاور وينشر الدمار والموت عبر ارض معروفة بالتسامح والكرم، ارض بلد عضو فى منظمة الامم المتحدة لم يقترف من ذنب سوى انه فتح ذراعيه لمن لجأ اليه ومارس حقا مارسته شعوب اخرى قبله عندما ابت انسانيتها الا قبول اناس عذبتهم النازية الفاشية وطاردتهم لا لشىء الا لانهم ينتسبون الى عرق ويدينون بدين ؟

ألسنا نرى وسائل الاعلام – وهى سلسلة ملكة الكلام التى حبا الله بها بنى آدم وحملهم من المسؤولية ما حملهم بمقتضى ذلك التشريف – تستخدم فى دغدغة الغرائز الدنيئة سعيا وراء ارضاء الحرفاء اكثر مما تستخدم فى فضح الجرائم والتنديد بها متخلية عن واجب تحقيق ما تعلقه عليها الشعوب من عريض الآمال باعتبارها اداة تنوير وتقدم ؟

تلك لعمرى ضروب من تحدى المنطق السليم بل وتنكر لكل صواب يشهدها الانسان فى سنتنا هذه سنة 1982 فيتساءل هل من مستمع واع لاعلان 1948 الداعى الى ارساء نظام يتيح للافراد والدول الاضطلاع بحرياتهم وحقوقهم اضطلاعا فعليا بل وهل كان من الفائدة التذكير بروحه وفحواه فى عام 1974 بالدعوة الى اقامة نظام اقتصادى عالمى جديد ؟

قد يميل الانسان الى التشاؤم وقد تحدثه نفسه بالاستسلام لولا ما يراه فى منظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم من جرأة واعتدال فى حرصها على تركيز النظام العالمى الجديد على المفهوم الوحيد المشروع الا وهو الحوار والشورى فى كنف الاعتراف بتعددية الثقافات وتساويها ، بهذا وبهذا وحده تنمحى الفوارق فلا فضل لقوى على ضعيف بالقوة ولا فضل لغنى على فقير بالثروة ٠

تلك هى ، سيداتى سادتى ، النظرة التى ينبغى ان نعتمدها اساسا ومرجعا ومنها نستخلص مقومات السياسات الثقافية قطريا او اقليميا او دوليا ٠

ولعل اول ما ينبغى ان نقره هو الايمان بان قضية حقوق الانسان قضية واحدة لا تتجزأ ، فعلى من ينادى بحقوق الانسان الا ينسى ان الامر يتعلق بذوات بشرية لها خاصياتها ومميزاتها ومن الحتمى احترامها وان اول حق من حقوق الانسان هو حق الاضطلاع بانسانيته طبقا لما يختاره من مفهوم خاص بآدميته ٠

اليس فى سلب الغير حق تقمص ذاتيته وفى حرمان مجموعات بشرية لمجموعات بشرية اخرى حقها فى تقمص ذاتها الا وجه من وجوه الغرور والميل الى بعث الانخرام فى نظام التعامل بين البشر ولو كان ذلك ذريعة لفرض النظام ، ذلك ان الانسان الذى لا يحترم الانسان الكامن فى سائر عباد الله انما يفسد الانسانية من حوله وهو بدوره يفسد على نفسه إنسانيته ٠

وهل من مآل غير ذلك الذى تؤول اليه كل النيات مهما حسنت عندما تنزع الى قولبة البشرية فى قالب واحد مستوحى من ذات النفس ومفروضا على الآخرين فرضا ٠ انما ذلك كله مآله الضلال وهو مفض بالمغتر الى ارادة التخلص من ارادة غيره ومنها الى السعى الى تصفية من غايره ٠

ذلك ما تردى فيه المستعمرون على اختلاف انواعهم كما تردى فيه دعاة الاستعمار الجديد ودعاة العنصرية السافرة منها او المقنعة بل وذلك هو ما تردى فيه البيروقراطيون المتعصبون لاشتراكية ضيقة او لقومية متزمتة كذلك التقنقراطيون أو العلمانيون الادعياء الموجودون فى مجتمع استهلاك يدجن الاذواق والعبقريات ويخضعها الى نواميس سوق الاشهار .

فما من هؤلاء الا وتعلل بتعلة ما نسميه بالواقعية تلك الواقعية الزائفة كالتى تقصر الواقع المزعوم على ما يقف عنده كل عقل متحجر لا يقرأ لارادة غيره اى حساب ٠

ان مثل هذه المواقف من شانها ان تحط من قدر من يقفها بقدر ما تحط من قيمته فتكون ضحية لها ، لذا فان الواجب يدعونا خدمة لمصلحة حتى مـن ينساقون الى ذلك انسياقا الى التشهير بهذا الزيغ ومقاومته كلما ظهر فى امة او بين مجموعة ممن البشر ـ حتى ولو كان ذلك عن حسن نية اذ اثمه الذى لا يغتفر كامن فى السهو عن ان الايمان بشيوع القيم البشرية انما هو شرط الايمان بالتساوى الكامل بين صيغ التعبير عنها مهما اختلفت وتعددت ٠

وسواء تعلق الامر بالمعاملات الثقافية بين الافراد او بين المجموعات البشرية فانه ينبغى ان نراعى مبدأين لا ثالث لهما ـ المساواة والحرية ـ يتعامل على اساسهما كل المتعاملين الثقافيين بما فى ذلك المبدعون والجمهور وكـذلـك المسؤولون عن التجهيز او النشر او التعاون الثقافى ٠

بيد اننا لسنا بحال من الاحوال ممن يدعون الى التسيب واللامبالاة او الى الميوعة الثقافية كما لسنا من دعاة التأثر بكل جديد دون تمييز او الانفتاح الى كل مستورد دون انتقاء اذ نرى فى كل ذلك عوامل لانتفـاء الـذاتية وانماطا جديدة من استلاب الشخصية لا تمت بصلة الى العالمية الحق ، ان الحـريـة والمساواة اللتين نعنى تشكلان ضمانا للحوار الرشيد المسؤول بين الثقافات الكفيل وحده باحياء اروع فترات التاريخ الانسانى التى تلاقحت فيها الحضارات وتفاعلت فاثمرت ما اعتزت به البشرية وافتخرت وهو احياء يقتضى تجنب ما وقعت فيه هذه البشرية من الاخطاء والاوهام .

ان المثل اللاتينى القديم يقول : ARS UNA, SPECIES MILLE اى ان « الفن واحد ، واشكاله شتى » ،، واحرى بعصرنا هذا بل من واجبه ان يعمم هذا المثل على كل ما يجعل من الانسان انسانا اى على كل ما يتسع اليه مفهوم الثقافة ٠

من منا يجهل أن النمو الثقافى لشعوب أمريكا اللاتينية والكرايبيب نـاتـج وسيبقى ناتجا عن الشعور المتزايد بأن أنماط التراث الثقافى التى كانت على اديمها عبر التاريخ تتساوى شرفا وفاعلية ؟

من منا يجهل ان ما اطلق عليه الاوربيون تسمية المعجزة الاغريقية انما كان مبعثه اهتداء المفكرين والمبدعين الى وحدة الكيان البشرى بين عقل وجسم يتكاملان متانة وجمالا ؟ وهو لعمرى درس ما زلنا فى حاجة الى الاتعاظ به وادخاله حيز التطبيق كما تسعى الى ذلك منظمة اليونسكو نفسها سعيا موفقا بتمتين صلتها بالحركة الرياضية والاولمبية .

ان الحضارة الاسكندرانية ما كان لها ان تكتسب ابعادا جديدة لو لم تتصل ـ وان عن طريق التحارب ـ بمجموعات بشرية جديدة ومتعددة عرفتها بها الفتوحات الرومانية .

ثم الم تكن النهضة الاوربية مقترنة بتفتح الغرب الاوربى على ما فى العالم الاغريقى الرومانى من انسانيات دلت على تواتر القيم البشرية عبر التاريخ ؟

وهل من شاك فى ان الاسلام قد وسع مفهوم الحضارة بعد ان استوعب الفلسفة الاغريقية والسياسة الرومانية والميتافيزيقا الهندية ورهافة الذوق الفارسى والروحانية التورانية ؟

وانى لا اتكلم عن ذلك العطاء الاسلامى للثقافة العالمية متعصبا او منحازا بل ان واجب الموضوعية التاريخية يفرض ذكره فى هذا المقام كما ان واجب التطلع الى ما يحتاجه مستقبل الحضارة الانسانية من تجميع كل طاقاتها وتعزيزها بعضها ببعض يملى علينا الاشارة الى ما تضمنته الحضارة الاسلامية من سوابق التلاقح السليم بين مختلف المجموعات المتعايشة تحت ظلها بل والمجاورة لها ولا يفوتنى بهذا الصدد ان أنوه بالمجهود الذى تبذله اليونسكو مشكورة فى ازاحة الحواجز الفاصلة بين الثقافات وفى نطاق هذا السعى نذكر المجموعة التى تعدها المنظمة فى اربعة او خمسة مجلدات للتعريف المنصف الوفى بالحضارة الاسلامية .

كل ذلك يزيدنا اقتناعا بان مدلول الثقافة قد اتسع نطاقه وازداد ثراؤه كلما سنحت له فرصة الاحتكاك بالغير وبأن خطأ أصحاب هذه التجارب المتوالية يتمثل حسب اعتقادهم فى ان ما وصلوا اليه نهائى وفريد من نوعه .

على ضوء هذا يجدر بنا ان نحلل بنفس العناية والتثبت ونعالج كل ما يمكن ان يطرأ على الثقافة من توسع او تطور يفرضه اندثار حدود الزمان والمكان الذى يشهده عصرنا الحاضر ذلك ان مدى اتصالاتنا المتبادلة وسرعتها قد اثرى ولا شك رصيدنا من المعلومات لكنه لم يزل يدعم ــ وانى له ان يدعم ؟ ــ بنفس القدر طاقة الاستيعاب التى بفضلها تؤول المعرفة الى تجاوب والاتصال الى تعاطف ٠

ان توفر هذا التجاوب وذلك التعاطف يتوقف على ارادة الشخص وحريته ولعل فى ذلك معنى للتضامن الانسانى الرشيد الواعى عبر الحدود رغم الاحترازات ٠

وهل يوجد بين المرء واخيه الانسان على تباين النزعات رغم هذا التباين بل وبفضله فى ارادة الاضطلاع بالمسؤوليات الملقاة على كاهل الانسانية وفى طليعتها مسؤولية تعامل الانسان مع الانسان ٠

انى لا أرى فائدة فى الجدال حول تحديد مسؤولياتنا فى الفشل الذى منيت به بالامس اتصالات بعضنا ببعض بل ارى ان تتجه مناقشاتنا حول تعامل الذاتيات الثقافية وحول التعاون الثقافى وجهة مستقبلية فى حزم المتواضع الذى يقصر طموحه كل طموحه على الانجاز الذى ــ وان كان ضئيلا محدودا ــ يدخل المبادىء حيز الواقع ٠

من هذا المنطلق سأحاول تقديم بعض المقترحات التى سينقحها ولا شك اهل الذكر واصحاب الاختصاص او يرفضونها ان شاؤوا ٠

فبالنسبة الى ميدان التراث مثلا نرى من الضرورة الاكيدة تسخير الوسائل والطاقات ليتم فى نطاقه البحث والتوثيق وتبادل المعلومات حول الذاتية الثقافية

وسوف لن نصل الى نتيجة فى هذا المضمار ما لم ينبن التعامل على المساواة بين القائمين بتلك المجهودات التى قد تحول تراث الطرفين الى فلكلور او فى أحسن الاحوال الى موضوع دراسة اثنولوجية فى حين ان المقصود من التعامل ضمان اللقاء والتلاقح .

ولذا فاننا نرجو ان تكون كل التوصيات الخاصة لاعادة التوازن الكمى والنوعى للدفق الاعلامى هادفة ناجعة خاصة واننا نعيش زمنا صرنا فيه نتوهم ان لنا عن غيرنا من البشر صورة حية فى حين اننا لا نحمل عنه الا جملة من التصورات الجامدة ٠

بنفس اليقظة ينبغي ان نحرص على ألا نتغافل عن أهمية الذاتية الثقـافية وعن الاخطار التى تترصدها والحجب التى يمكن أن تغشيهـا وان نعمـل على التذكير بها فى كل توصية من التوصيات القطاعية حتى تلك التى تبدو اكثر تقنية من سواها وانى اذ أدعو الى ذلك لا أقصد رفع الشعارات ولا ترديـد الحقائق البديهية بل اريد التحذير من اللجوء الى بعض «التقنيات» الثقـافية (كالحفريات الاثرية والصيانة والترميم والتوزيع والتكوين) التى قد تؤول الى تشويه هذا المقوم او ذلك من مقومات الذاتية الثقافية .

ومما يتراءى لى فى هذا السياق مع الاعتذار عن الاستشهاد بما هو واقع فى بلدى ـ ما قد تؤول اليه الحفريات «الموجهة» التي قد تفسد او تضيع اثناء بحث المسؤولين عن معالم يرونها وحدها جديرة بالاهتمام معالم أخرى خـارجة عن نطاق اهتمامهم ، كذلك كان الشأن فى بعض حفريات السلط الاستعمارية فى البلدان المتعددة التراث فهى لم تكن تهتم مثلا الا بالمعلم اليونانى الرومانى على حساب المعلم البونيقى أو التركى أو العربى أو الهندى .

ونحن نشهد الى يوم الناس هذا احوالا مثل هذه تهدد معالـم مـن تـراث الانسانية بمخاطر الافساد بل الاتلاف النهائى ما لم تحل اليونسكو دون ذلك أو ما لم تجد اليونسكو نفسها ، مثلما هو حالها مع القدس ، قصيرة اليد ، بل عاجزة حتى عن القيام بالبحث عن درء ذلك .

ولا اخال ما اقوله فى الاثار الا منطبقا على المكتبات والمتاحف وحتى عـلى الموسيقى .

اما فيما يخص البعد الثقافى للتنمية فعلينا قبل كل شيء ان نقتنع بان عهد الشعارات العامة ـ مهما كانت سخية ـ قد ولى .

ان ما يجب ان تترجمه ـ بكل تأكيد ـ القرارات واللوائح هو الحقيقة التى تجلت للذهن البشرى بعد تجارب باهضة الكلفة وتتمثل هذه الحقيقة فى ان ليس من تطور بشرى مجد دائم ما لم يكن التطور نتيجة عمل «صناع» شارك فى تصميمه الجميع وآمنوا بالمبادىء التى اوحته ، فلا يمكن لشعب من الشعوب أن يتمادى فى السماح بتوريد نمط تنميته أو قبول تمادى فرضه عليه لذا وجب أن يكون نقل التكنلوجيا اذا اريدت له الجدوى ، أكثر وأفضل من مجرد عملية نقل لان التكنلوجيا تتفاعل مع المحيط الثقافى الذى تنشأ فيه تفاعلا كما هى الى اكثر كثافة اذا ما خفى عن العيان فاذا ما نقلت هذه التكنلوجيا كما هى الى محيط غير محيطها فانها تفقد ذلك التبادل المنعش الضامن لفاعليتها وتطويرها

ثم اننا حسب تراجع القوة بينها وبين المحيط سرعان ما نرى المحيط الذى فرضت عليه يرفضها او نراها تشوه هذا المحيط وتخل به بل غالبا ما تتوالى الكارثتان اذ نرى بيئة الاستقبال بعد ما تم تشويهها وبترها ، ترفض التكنلوجيا المستعارة فى نهاية المطاف على ان القطيعة لا تتم الا وقد تفاقم تخلف المجموعة بعد تحملها تكاليف هذه التجربة الفاشلة ومثل هذه الكوارث كثيرة ويا للاسف وهذا ما جعل ندوة بوقوطا تشير بخصوص هذه الحالات الى ان حصول هـذا الانحطاط الثقافى من شانه ان يهدد الانسانية وينخر كيانها ويعود عليها بالشر والوبال فيشل سعيها الى التنمية •

وهنا ايضا لا فائدة ترجى من الجدل ، بل المهم هو التحليل الواضح الموضوعى لاسباب هذا التنافر ونتائجه ولعل جملة من القرارات ، المتواضعة فى مظهرها ، ستجنب اصحاب القرار فى المستقبل ، الخيبات التى منينا بها وما نزال •

فما من شك انه من المفيد التذكير بالتوصيات السابقة التى تنص على ان مخططات التنمية يجب ان تخصص للتنمية الثقافية بابا على حدة ، الا أنه من المفيد ان نستخلص اليوم بوضوح العبرة من ممارساتنا الاخيرة الم نلمس ان المشاريع الوطنية ـ مثل اتفاقات التعاون الثنائى او الدولى من اجل التنمية ـ محكوم عليها بالاخفاق كليا او جزئيا ، ما لم تسبقها او ترافقها او تتبعها انشطة ثقافية ، ذات اتصال وثيق بها ؟ وبالتالى افلا يمكننا بل افلا يجب ان نوصى بالتنصيص على المكونات والمقتضيات الثقافية واثباتها فى الميزانيات على صعيد المشاريع ذاتها لا فقط بالباب المخصص لخطة التنمية الثقافية سواء تعلق الامر بالدراسات او بالتجهيزات او بالانشطة ؟ نعم وكيف لمسؤول وطنى مخلص بل وكيف لمناقش نزيه ان يستكثر التكاليف التى من شأنها ان تزيح خطـرا يكون من عدم الجدوى بل ومن الاجرام السكوت عنه ؟ ومع ذلك ، فما اقـوم الطريق الذى ستفتحه هذه المنهجية فى وجه الدراسات الاجتماعية الهادفة الى التنمية والبحث العلمى والتقنى فى خدمة التنمية والتعاون الثنائى والـدولى وفى خدمة التنمية والسلم ، نعم السلم سلم بين المجموعات داخل الامم بسبب ما تفرضه مثل هذه الطريقة من مساهمات سلم بين الامم بسبب ما تستدعيه من تعارف .

هذا ما يعود بى الى بعض الملاحظات التى افتتحت بها حديثى عندما اشرت الى أن السياسة الثقافية التى ترمى الى مثل هذه الاهداف وتتسع الى هذه الآفاق لم تعد من صلاحيات وزارات الثقافة وحدها ، بل يتحتم على كافة مراجع القرار بالبلاد ان تشاركها فيها اما المسؤولون الثقافيون فحسبهم ـ وليـس هـذا بالهين ـ الدعوة للحوار والتعاقد واعداد تراتيبها وشروطها أو تطويرها .

ولتسمحوا لى ختاما ان اتطرق سعيا الى الواقعية والجدوى ، الى نقطتين اخريين من جدول الاعمال، وهما النقطة المخصصة للبحث عن الابداع والنقطة المخصصة للادارة الثقافية ، انه بامكاننا ان نصدع بان الوقت قد حان لتجاوز المناظـرة التقليدية بين مقتضيات حرية الابداع وضرورة «الكفالة» التى يريدها الفنانون او المتكلمون باسم الفنانين ٠

انه لم يعد من الغرور او من السابق لاوانه ان توصى الندوة بتوفير الوسائل للقيام بدراسة ضافية لصيغ تمويل الابداع الفنى وانماطه ثم اعتمادها (مع ما تقتضيه الحالات من واجب التعديل) حتى نضمن للفنان انعتاقا من التبعية المقيتة او من «النجومية» التى هى محض وجه من الوجوه الخلابة لتلك التبعية فلقد دعت كل الندوات الاقليمية وكل لجان الخبراء ، الى التفاعل بين الفـن والنشاط الانتاجى للمجموعة بما يكون حافزا على التفكير فى نصوص قانونية لا تقتصر على التشجيع بل تتعداه (مع المرونة اللازمة) الى فرض تواجد الفن (من موسيقى ورسم ونحت ومسرح وسنما) فى العمارة وفى قاعة الدرس فى الورشة وفى الادارات ؟ فضلا عن استديو الاذاعة والتلفزة وقاعة الرياضة أو الملعب ٠

وفى هذا الخصوص كما فى سابقه ليس لوزير الثقافة فى السنوات الاخيرة من القرن العشرين ان يحلم بان يجدد امجاد ميسيناس ويجعل من الفنانين طفيليين من حوله ينظرون ما يجود به من العطايا والصلات بل يكفيه فخـرا واعتزازا ان يقترح فى الابان على المشرع وعلى غيره من اصحاب القرار ضبط قواعد الحوار بين فنانين هم فى مستـوى جمهـورهم وجمهـور فى مستـوى فنانيه ٠

وانه ليس من الهين ايها السادة والسيدات وزراء الثقافة ان تمكنوا الجمال من ان يصبح النمط الطبيعى لاطار حياة الشعوب ونشاطهم وانى على يقين من ان الشعوب والمبدعين الذين انجبتهم هذه الشعوب قادرون اذا ما تحققوا من انهم سوف لا يحرمون اصالتهم على تنزيل الجمال منزلته التى حرمه اياها مجتمع يسوده الضجر والرتابة، أليس هذا الدور ـ على تواضعه الظاهر ـ جديرا بكم ايها السادة والسيدات وزراء الثقافة وبالآمال التى تضعها فيكم منظمة الامم المتحدة عبر اليونسكو اذ تنتظر منكم مساهمة كبرى) ابرزت الظروف التى تجتازها الانسانية حاجتنا الماسة اليها) فى اقامة نظام يكون الجمال فيه والعدالة صنوين متلازمين ؟

محمد مزالي

ما العمل .. بعدما حدث في بيروت ؟

بقلم : البشير بن سلامة

أحداث بيروت هزت العالم بأسره وجعلت القضية الفلسطينية فى الصدارة من حيث مشاغل كل الناس سواء أثناء صمود الابطال الفلسطينيين أمام الهجمة الصهيونية الشرسة أو بعد المذبحة الرهيبة التى صنعها الارهابيون الصهاينة .

ولم تكن أحداث بيروت إلا حلقة من سلسلة الكفاح الفلسطينى ضد رأس الحربة المتمثل فى دولة اسرائيل والمثل لكل سلبيات عالمنا المعاصر من عنصرية وعنف ومطامع توسعية وهيمنة اقتصادية وثقافية .

وإذا كان للشعب الفلسطينى (منظمة التحرير الفلسطينية) فضل الذود عن ذاتيته والكفاح من أجل حقه فى الوجود ككيان وتكوين دولة وهو ما نال به اعجاب العالم واكباره فانه فى الواقع يجسم الدفاع عن القضية العربية وأن هزائمه وانتصاراته إنما هى عالقة بجوهر الصراع الذى يخوضه العرب منذ عقود لتثبيت اقدامهم فى هذا العالم الجديد الذى تزعمته دول أخرى وأصبحت تفرض عليه كلمتها ونمط حياتها واسلوب معالجتها للمشاكل .

فالقضية إذن ليست سياسية فحسب بل تخضع الى نواميس حضارية فكرية إن شئنا . إذ أن الذى تم فى بيروت لم يكن محض صدفة بل هو نتيجة لمواقف فكرية كانت هى سدى لكل القرارات السياسية بل هى الدعامة فى كثير الاحيان لأنظمة الحكم صاحبة هذه القرارات .

وبصورة أوضح فان الذى يعانيه العرب اليوم رغم طاقاتهم المادية والمعنوية الكبرى إنما هو نتيجة تردد الفكر العربى أمام الحضارة الجديدة وتعثره عند مجابهة الاحداث لانه لم يشترك فى صنعها

وازوراره عن تحليل الواقع تحليلا جريئا وانسياقه انسياقا أهوج الى تيارات أجنبية لا يقدر تأثيرها السيء حق قدره وانجذابه فى حماس لا مثيل له فى بعض الاحيان الى ماض ولى وانقضى وإن كان مشرفا .

وسؤالنا ما العمل ... بعد ما وقع فى بيروت ؟ لا يعنى القرارات السياسية الواجب اتخاذها والخطة المثلى التى يقتضى اتباعها لفض القضية الفلسطينية بل الذى نعنيه هو البحث فكريا عن اسباب هزيمتنا وأصل تشتتنا وجذور تفرق كلمتنا تحليلا وتمحيصا علما بأنه لا مجال لتخوين أى كان ورميه بسوء النية والتواطؤ بل إن المسألة تقتضى الغوص فى الجوانب العميقة للتيارات الفكرية وتفكيكها حتى يتبين الصحيح منها والزائف والصلد من الهش ، واللب من القشور .

وهذا السؤال يقتضى أن يضرب صفحا عن كل الايديولوجيات وقوالب التفكير الجاهزة والنظريات والعقليات النحلية الضيقة والمقتضيات الظرفية السياسية وغيرها لنجيب عن الاسباب الحقيقية الحضارية والفكرية التى جرتنا الى الوضع الحاضر. عند ذلك وانطلاقا من نقاط القوة والضعف يمكن أن يسائل بعضنا بعضا ماذا نريد ؟ أى ماذا تريده شعوبنا بالضبط ؟ ليمكن تنظيره وتبنيه وصقله لا سياسيا بل حضاريا وفكريا .

وبمعنى آخر فان الامة العربية محتاجة الى أرضية فكرية حضارية، جديدة ينطلق منها كل العرب رغم اختلاف الاتجاهات بدون أن تتضارب وتتصارع لتكون قوة إبداع وخلق تنصهر فى العالم بدون أن تتحداه أو تضطر الى مصارعته .

هذا التوجه المثالى الذى ربما يثير ابتسام البعض لأنه لا يقرأ حسابا للصراع الوحشى بين الاتجاهات فى العالم العربى الاسلامى هو الكفيل بأن يخرجنا من الفاقة الفكرية الكبرى التى تتخبط فيها وهو الذى حدا بنا أن نبدأ هذا التوجه من على صفحات هذه المجلة فنجمع من المفكرين والكتاب من فى امكانه أن يجيب عن هذه الاسئلة الثلاثة : كيف وصل الفكر العربى الاسلامى الى هذه الحال ؟ ماذا نريد ؟ ما العمل ؟

وإن هذه المحاولة التى بدأناها مع شخصيتين فكريتين : الدكتور غالي شكري من مصر والدكتور الطاهر لبيب من تونس كبدء لهذا النوع من الحوار وكانطلاقة لهذا التمشي فى معالجة قضيتنا الشائكة هو الذى نعتزم الاستمرار فيه سواء بعقد هذه الندوات الضيقة أو بتلقى رسائل قرائنا الكرام الذين يودون المشاركة فى هذا الحوار البنـاء :

ولقد توخت أمم أخرى هذا السبيل لتدبر أحوالها فى جو بعيد عن الضغوط الآنية والاهواء المنجرة عـن النظـر القصير والتعصب المقيت والتنكر لحق الآخر فى حرية التعبير والرأى والميل الى العنف والارهاب بالكلمة أو بقبضة اليد . وفسحت هـذه الامم المجال للجامعات والنوادى لتكون واحة وارفة الظلال لتبادل الرأى والتعمق فى البحث وتكثيف الدراسة فيما يهم حاضر مجتمعاتها ومستقبلها . ولقد درجت على هذا السنن الجامعـات فى أمريكـا وفى أوربـا التى اشتهر فيها نادى رومة بما صدر عنه من دراسات وبحوث كان لها ولا يزال الصدى الايجابى فى سيرورة الاحوال بهذه القارة .

وإن الواجب يدعو ـ بالنسبة الى العالم العربى الاسـلامى ـ أن يوجد مثل هذه المجالات الفكـرية بعيـدة عن التأثيرات السياسية والنزعات التى غايتها الوصول الى الحكم أو الدفـاع عن مـذهب أو نظرية ما لأنه من صالح كل أمة أن يوجد على أديمها من له الشجاعة والقدرة على أن يقول ما يراه الحق بل إنه من واجب أى نظـام يقـدر مسؤوليته حق قدرها أن يتيح كل الفرص للمفكرين والعلماء ليدلوا برأيهم بكل حرية وطمأنينة .

ذلك أن الذى نخشاه هو الا يظهر من الآراء والافكار الا ما تمليه المصالح الآنية والروح المتعصبة والعقلية النحلية ويطغى هذا كله على الجماهير فينعكس على أنظمة الحكم التى تنساق حفاظا على البقاء الى ما لا تفرضه المصلحة الحقيقية .

ولعلنا ـ بنشر الحوار الذى سيطالعه القارىء الكريم فى الصفحات التالية ـ نظفر بضالتنا ونكون قد ساهمنا المساهمة الفعالة فى تبين الطريق الصحيح ورسم الخطوط الاولى « للنهضة الجديدة » .

نص الحـــوار

الاستاذ البشير بن سلامة :

هل ان ما يجتاح الساحة العربية اليوم من نكبات وهزائم له صلة بهزيمة الفكر العربى وبكلمة أوضح وأدق يمكن لنا أن نقول : هل ان كل ما قـام به العرب منذ بدء النهضة لم يثمر الثمرة المرجوة ؟ فهل هذا صحيح أم هو تجن على الفكر العربى وعلى الجهـود العـربية التى عملت على الخـروج من السطـو الاستعمـارى ؟

الدكتور غالي شكري :

الواقع هناك هزيمة ويمكن لنا ان نسميها هزيمة الهـزائم . هى الهـزيمة الشاملة والجذرية . ولكى نكون صادقين ولو مرة واحدة مع شعوبنا لا بد لنا من الاعتراف بهذه الهزيمة المروعة التى بدأت حسب ظنى عام 1967 وتـوجت بشكل فادح وفظيع فى يونيو . فالاحداث التى وقعت فى لبنان أو مـا سمي بالحرب الخامسة ليست مجرد أحداث عسكرية وانما تمثل حدثا فكريا جسـم هذه الهزيمة . انها ليست هزيمة عسكرية وانما هى هزيمة حضارية شاملة . هذه الهزيمة وجدت قبل 67 ولكن 67 أفسح لها المجال . وللاسف إننا لم نغتنم فرصة 15 سنة لتقصى أسباب هذه الهزيمة لنعمل على تجاوزها . ولكى نكون موضوعيين أكثر نقول إنها هزيمة الفكر أو هزيمة النظم العـربية المعـاصرة وهى أيضا هزيمة للتيارات السائدة فى الفكر العربى المعاصر . لكن لا يمكن لنا أن نتهم الفكر العربى وتحمله مسؤولية هذه الهزيمة بل ونحمل المسؤولية الانظمة العربية السائدة . فالفكر العربى هو مصطلح عام جدا يحتمل أشيـاء عديدة ، فهناك أفكار لم تتح لها فرصة الظهور فهذه الافكار لم تهـزم وانمـا كبتت ، وهناك أفكار قبرت وأخرى لم يفصح عنها أصحابها والسبب فى ذلك هو غياب الديموقراطية فى الانظمة العربية .

ومن الحقائق أيضا ان هنالك فوضى فظيعة فيما يمكـن تسميتـه بفكـر الشعب . فهل أن فكر الشعب هو الفكر الذى تحمله منظمات سياسية معينة ؟ هل هو فكر أفراد معينين؟ أم هو فكر الفلاح؟ الذى لم يستطع أحد أن يعبر عنه مهما كتب حوله من الروايات والقصص والاشعار ؟ الواقع أن فكـر الشعب لا نستطيع أن نضع أيدينا عليه تماما لان هناك فكرا سائدا منذ مجيء الناصرية وهو ما يسمى بالفكر القومى العربى .

الاستاذ البشير بن سلامة :

هل ان هذه التيارات التى سنتحدث عنها هى نتيجة النهضة ؟ كما لا بد لنا أن نتساءل أيضا : هل إن هذه النهضة لم تترعرع فى شىء من الديمقراطية خاصة أنك ذكرت أن غياب الديموقراطية هو أحد الاسباب التى أوجدت هذه الهزيمة ؟ هل أن هذه التيارات التى ظهرت اثر الحرب العالمية الثانية لم توجد فى الايام الاولى للنهضة وطيلة النصف الاول من القرن العشرين ؟ فاذا اعتقدنا أن هذه النهضة بلغت أوجها وآتت أكلها فلماذا أفرزت هذه التيارات التى حكمنا على أكثرها بالافلاس ؟

الدكتور غالي شكري :

فى الواقع حين ذكرت الناصرية انما قصدت بالضبط آخر مراحل ما يسمى بالنهضة أو بالمعادلة التى وضعها المفكرون العرب منذ القرن الماضى كرفاعة الطهطاوى وخير الدين التونسى ومحمد عبده وبعض المسيحيين اللبنانيين كبطرس البستانى وغيرهم على مدى 150 سنة . هذه المعادلة تتكون مما يسمى بالتراث والعصر أو الاصالة والمعاصرة أو الاسلام والغرب الى غيرها من التسميات .

الاستاذ البشير بن سلامة :

يعنى : الاصالة والتفتح .

الدكتور غالي شكري :

بالضبط . المقصود منها التوفيق بين الماضى التليد الخاص بالعرب وبالمسلمين والجديد الموجود فى الحضارة الغربية . والواقع أن هذا التوفيق نصفه بأنه توفيق كمي ، وتوفيق ساكن يعنى ليس تركيبيا ، فلم يحدث أى تركيب على الاطلاق .

ما هى العلاقة بين الاسلام والغرب ؟ ما هى العلاقة بين التراث والعصر ؟ هذه الاسئلة لم تحدث اطلاقا وانما حدث نوع من المصالحة بين ما نتصوره أنه ذاتنا القومية وبين حضارة فى الغرب والمقصود بهذه الحضارة الغربية الجانب التكنولوجى فقط . هذه المصالحة تتمثل فى تحضير الاسلام لتقبل التكنولوجيا الغربية . هذه المعادلة سقطت عدة مرات فى تاريخنا خلال المائة وخمسين سنة . لكن كان سقوطها نهائيا فى المرحلة الناصرية ذات الصوت القومى

العربي القائل بأن هناك غربا وهناك تراثا . وهذه المعادلة سقطت أيضا سنة 1967 سقوطا كاملا . والحقيقة أن في انفصال مصر وسوريا دليلا على أن هناك عناصر تركيبية في المعادلة غير موجودة ولم يقع اكتشافها .

الاستاذ البشير بن سلامة :

كيف سقطت هذه المعادلة في المرة الاولى ؟

الدكتور غالي شكري :

حدث السقوط الاول مبكرا جدا وبالضبط في دولة محمد علي يعني سنة 1840 . لم تكن غاية محمد علي تحديث مصر فقط بل أراد تحديث دولة عربية متكونة من مصر وسوريا ولبنان والحجاز الخ.. بالتالي حدث هذا السقوط، ثم دخلنا في مرحلة عصيبة جدا انتهت باحتلال مصر وتونس سنة 1881 واثر ذلك احتل المشرق والمغرب فتغيرت المعادلة . لماذا سقطت هذه المعادلة ؟ لانها لم تكن معادلة تركيبية . كانت معادلة كمية توفيقية ساكنة لم يكن فيها أي جدل على الاطلاق .

ما هو الاسلام ؟ ما هو التراث؟ لم يجب الرواد اجابة تفصيلية عن هذه النقطة. ثم أن هؤلاء الرواد لم يستطيعوا أن يعطوا لنا أيضا مفهوم الغرب : هل مجرد الطائرة والسيارة الخ ..؟ أم هل هو بلزاك وايميل زولا وديستوفسكي وشيسبير وغيرهم ؟

الدكتور الطاهر لبيب :

ان السؤال الذي طرحه الاستاذ البشير بن سلامة أثار فيه قضايا أساسية وخاصة قضية المعادلة التي تحتاج الى تعميق ونقاش . هاته المعادلة التي تحتاج الى نقاش هي العلاقة بين النهضة والهزيمة اذ لاحظت ان هناك مقارنة وربطا بينهما وباختصار يمكن أن يقال بأن هناك نهضة مهزومة . فلا بد لنا من تحديد مفهوم النهضة والى تحديد مفهوم الهزيمة . أما رأيي في هذا الموضوع فهو :

أولا النهضة : اعتقد أنه من الصعب الحديث عن النهضة بشكل عام لان هذه النهضة والتي قد تكون فكرية قد لا تكون بالضرورة نهضة اجتماعية سياسية . وأعتقد أن النهضة العربية كانت بداية سقوط المجتمع العربي . ان تجربة محمد علي كانت فاشلة لانها نشأت في ارهاصات الامبريالية العالمية بمعناها العام الاقتصادي والثقافي والفكري والسياسي الى غير ذلك . ففي رأيي أن النهضة لا يمكن أن تكون شاملة ، هناك نهضة فكرية هذا مما لا شك

فيه اذ تبلورت مقولات كثيرة قد نعجب أحيانا أنها لا تزال الى اليوم وما زلنا نرددها الى اليوم ، ومن هذه الوجهة فان الفكر العربى فى مجمله لم يتجاوز الفكر النهضوى أو على الاقل لم يتجاوز الجانب الطوبائى أى الجانب الذى يحلم به والذى كان موجودا عند رواد النهضة ، فعلى سبيل المثال عندما اقرأ لشبلي شميل فأجد أن ما قاله فى بداية هذا القرن لا يزال موجودا الىاليوم وما زلنا نردده بصيغ مختلفة ولكن ما زالت المأساة العربية موجودة بهذا الشكل تقريبا . فالذى أريد أن أصل اليه هو أن فى النهضة مستويات . ففى المستوى الفكرى أعتقد أن النهضة العربية ما زالت مشروعا لم ينجز وأنا شخصيا ككل مثقف لست مستعدا للتخلى عن الفكر النهضوى ولو عبر أزمات ، وهذا الفكر النهضوى هو تراكمات من الجهد الفكرى ومن المقولات ومن الاشكاليات ومن الاطروحات والحلول فكل هذه المظاهر الفكرية لم تنجز تاريخيا لظروف خارجة عن الفكر ـ وهذا أيضا فى حاجة الى مناقشة ـ لان الاشكالية ليست اشكالية فكرية بحت بل هى اشكالية اجتماعية وبالتالى يمكن لنا طرح هذا السؤال : هل وازن النهضة الفكرية نهضة اجتماعية وسياسية ؟ وبصراحة أنا لا أعتقد ذلك رغم أن الوطن العربى فى هذه الفترات تحرر بكامله من الاستعمار . لكن هذه النهضة ولوجود معادلات مختلفة من نوع المعاصرة والاصالة ومن نوع التحديث الى غيرها من المعادلات أقحمت المجتمع العربى فى نظام عالمى فأصبح من المستحيل عليه انجاز مشاريع اجتماعية وسياسية توازى أو تناسب الفكر أو النهضة الفكرية .

ومن جملة أخطاء النهضة أيضا ـ وهذا له انعكاسات اجتماعية ـ أنها أعطت للفكر الغربى بعدا كونيا وجعلت أصحاب المشاريع يعتقدون بأن التحديث على الطريقة الغربية هو تحديث صالح بالضرورة لهذه المجتمعات . اذن هذا مجرد احتراز حول مفهوم النهضة . أما مفهوم الهزيمة فيجب أن نحترز فيه أيضا لان مفهوم الهزيمة يغطى عادة أسباب الهزيمة وما وراء الهزيمة ولان مفهوم الهزيمة مفهوم ظرفى أساسا عسكرى سياسى ويغطى ما هو بنيوي أى يغطى الهزيمة البنيوية ولذلك أنا أوافق تماما الدكتور غالي شكري عندما يقول بأن الهزيمة موجودة قبل 67 ، وكما قلت منذ حين : إن بذور الهزيمة موجودة فى النهضة نفسها . فالنهضة العربية منذ بدايتها كانت نهضة مهزومة اجتماعيا وسياسيا . وكما ذكرت أيضا : إن الهزيمة تخلط مفهوم الهزيمة تخلط بين ما هو مهزوم وبين ما هو منتصر،فهناك فكر مهزوم وفكر انهزامي تنصره الهزيمة ولكن هناك أيضا فكرا منتصرا . نحن العرب نحاول أن نستفيد من الهزيمة

لكن مشكلتنا أننا لا نستفيد لا من الهزيمة ولا من الانتصارات . ولكن بالرغم من أن سنة 67 تمثل هزيمة نكراء لكننا لا ننسى أن سنة 67 أنتجت فكرا عربيا متقدما وأن آخر قلعة من قلعات هذا الفكر هو الفكر الفلسطيني نفسه الذي أنتج ابداعا وتحليلا نظريا ومقولات وصيغا جديدة في التحليل وفي الرؤية التي كانت هي أيضا تابعة للهزيمة . فلا يمكن ـ وخاصة للمثقفين ـ أن تستغل الهزيمة وايديولوجيا الهزيمة لاتهام كل الفكر العربي وكل التيارات الفكرية العربية التي منها من تنبأ بالهزيمة ومنها من حلل الهزيمة ومنها من خرج من الهزيمة ومنها من اضطهد وسط الهزيمة .

فكرة أخيرة فيما يخص الهزيمة والفكر العربي المهزوم : ان الفكر العربي المهزوم والذي نتحدث عنه اليوم ليس بالضرورة انهزاميا ، فهناك فكر متقدم ولكنه هزم سنة 67 وأعتقد أنه هزم أكثر في سنة 73 . فأنا أعتقد أن سنة 73 رغم ما فيها منانتصارات عسكرية وسياسية هي سنة هزم فيها الفكر العربي اذ أنه ضرب باسم الانتصار .

الاستاذ البشير بن سلامة :

أعتقد ـ كما قلتم ـ أن الهزيمة موجودة من الاول في النهضة لأن ـ كما قال الدكتور طاهر لبيب ـ زعماء النهضة لم يكن رائدهم الا التفكير والفكر النظري الذي لا يعتمد على الواقع أما كل ما يتعلق بالجوانب الاخرى للنهضة الشاملة التكنولوجية والاجتماعية وغيرها لم يكن له أي تأثير كبير على الجمهور لان هذه النهضة في الواقع هي نهضة نخبوية . فالنهضة العربية ليست نهضة شاملة . واذا قارنا بين النهضة العربية والنهضة اليابانية نجد أن النهضة اليابانية هي نهضة شاملة لانها لم تتعلق بمفهوم التفكير والفكر السياسي فقط الذي ليس له تأثير كبير على المجتمع . فالنهضة اليابانية هي أساسا نهضة تتعلق بتغيير المجتمع حتى يلتحق بركب الحضارة الغربية . فالانسان الياباني كان مهيئا لهذا التغيير بخلاف الانسان العربي ، كما أن الياباني كان مستعدا لاعتناق ما وجد في الغرب مع ما له من ثقافة وحضارة تقليدية حافظ عليها منذ أمد بعيد. أما النهضة العربية فلم تكن منذ البداية نهضة شاملة بأتم معنى الكلمة بل هي نهضة نظرية كما قال الدكتور طاهر لبيب وهي تحاول جاهدة ايجاد شيء جديد تضيفه الى النهضة العالمية فهي اذن نهضة منقوصة لانها تتعلق بالنظر فقط ولا تتعلق بكل النواحي الاخرى ثم هي نهضة طموح جدا الى أبعد الحدود لانها تريد أن تحذق ما حذقه الغرب من أسباب القوة والمناعة المادية . لهذا كله تعتبر من

الاول مهزومة وغير قادرة لانها لا تنبنى على شيء واقعي كما انبنت فيما بعد القوة التي نجدها عند اليابان اليوم : القوة الاقتصادية القوة الصناعية القوة المادية والى جانب هذه القوى حقق اليابان نهضة فكرية كبيرة وبالتالي فان النهضة اليابانية هي نهضة شاملة فهي موفقة . أما من ناحية أخرى فان هذه النهضة التي عرقلتها الحركات الاستعمارية وعرقلها الاستعمار عندما انتصب على الشعوب العربية في أواخر القرن التاسع عشر هو الذي ربما غير وجهة هذه النهضة شيئا ما ، فجهود كل الشعوب العربية اتجهت الى التحرر السياسي والى الكفاح ضد الاستعمار . ان هذا التحرر السياسي انبنى على أفكار وعلى توجه الجماهير الى التعمق في الشخصية العربية الاسلامية والتشبث بها . ان هاته الجماهير لم تكافح الاستعمار من أجل الحرية المطلقة بل من أجل الحفاظ على شخصيتها . وكل الحركات سواء كانت في مصر أو في تونس أو في الجزائر أو المغرب دافعت عن شخصيتها أي انها في الواقع تنظر الى الماضي رغم أنها تتجه الى المستقبل . وهذا نفسه أدخل شيئا من الاضطراب على هذه النهضة . فهذه الحالة اذن هي التي كانت أرضية لكل ما ظهر من هزائم .

الدكتور غالي شكري :

إن هذه التحديدات البليغة لكلمة النهضة والسقوط أو الهزيمة هي تحديدات لا شك في أهميتها ، وبالتالي أنا أرى أن كلمة النهضة في سياق تاريخنا العربي الحديث مقصود بها في الحقيقة نشأة مجتمع برجوازي حديث على النسق الاوربي .

هناك تفكير بمعنى نهضة (Renaissance) بالمعنى الاوربي ، لم يكن مقصودا على الاطلاق أحياء كالاحياء الذي حدث في الغرب وانما كان خاصة نشأة مجتمع برجوازي حديث . ففي النهضة الاولى أو المرحلة الاولى من النهضة ان شئنا الدقة وهي مرحلة محمد علي لم تكن هناك بورجوازية ولم يكن هناك مجتمع بورجوازي على الاطلاق ، ولذلك حدث تناقض بين فكر نهضوي قادم عن طريق رفاعة الطهطاوي أو خير الدين التونسي وبين حاكم اسمه محمد علي . في حقيقة الامر هذا الفكر النهضوي لا علاقة له من قريب أو من بعيد بفكرة الثورة الفرنسية التي أتى بها رفاعة الطهطاوي وانما هو حاكم أوتوقراطي في مجتمع تيوقراطي ، أي مجتمع نسيج العلاقات الاجتماعية فيه مزيج من العلاقات الاقطاعية وعلى صعيد القيم ، القيم السلفية ، فالحاكم كان حاكما أوتقراطيا

بشكل مطلق أي ديكتاتور، ولا علاقة له بالفكر الذي أتى به أحد موظفيه وهو رفاعة الطهطاوي ولا علاقة للمجتمع أيضا بهذا الفكر القادم من الغرب ، البورجوازية نشأت بعد ذلك بعشرات السنين ، وبالدقة ظهرت البورجوازية في مرحلة السقوط أي في مرحلة نهاية محمد علي ، أي سنة 1840 ، وهنا أريد أن أشير الى نقطتين يمكن أن نختلف فيهما مع التحديد الجيد المطروح : الفكرة الاولى هي أن نجاح محمد علي كان نجاحا وهميا وامبراطوريا يعني عندما فكر في وحدة عربية ، أراد أن يؤسس امبراطورية مركزها مصر وشتان ما بين هذه الفكرة وفكرة الوحدة العربية .

الاستاذ البشير بن سلامة :

مثل الامبراطوريات الاخرى التي سبقت .

الدكتور غالي شكري :

بالضبط وبالتالي كان لا بد من السقوط . الفكرة الثانية : ان محمد علي أخذ كل الارض من كل المالكين وسمى ذلك في التاريخ انه اشتراكية ، انه أول من طبق الاشتراكية في العالم العربي ، فهذا غير صحيح فهناك فرق بين الاشتراكية وبين اقطاع الدولة اذ أن الدولة أخذت هذه الارض وهي التي تتصرف فيها ، وهذا اقطاع مثل الرأسمالية في الدولة تماما ، لم تكن هناك بورجوازية في ذلك الوقت وانما البورجوازية نشأت بعد سقوط تجربة محمد علي وتداخل الغرب السياسي والاقتصادي في شؤوننا . في هذا المناخ التاريخي ولدت البورجوازيات العربية وهي بورجوازيات ممسوخة ولا ينبغي أن نطلق عليها كلمة بورجوازية في الحقيقة ، وانما نحن نطلق عليها تجوزا هذا المصطلح لاننا ما زلنا منسحقين أمام الثقافة الغربية ومصطلحاتها . فالبرجوازية المصرية نشأت من اقطاع أراد أن يستغل بعض موارد الارض في التجارة ، أي انه بالدقة حاول أن يتبرجز ولكنه هو نفس الشخص ونفس الطبقة وبالتالي حملت معها كل القيم الاقطاعية وما كان من المستحيل أن تكون لها قيم بورجوازية . الشطر الآخر هو عملاء الاستيراد والتصدير هذا هو الجزء الآخر من تكوين ما يسمى الآن بالبورجوازية سواء في مصر أو في الوطن العربي ، أي انها بورجوازية ولدت على اكتاف الاحتكارات الاجنبية الاستعمارية وفي حضن الاقطاع يعني أنها أتت نتيجة زواج غير شرعي بين طرفين لا يمكن أن تظهر منهما بورجوازية كالبورجوازيات الاوربية العظيمة التي عملت

النهضة والثورة الفرنسية فهذا لم يحدث عندنا ان ميلاد البرجوازيات عندنا ترافق مع قوة وفتوة بورجوازية أوربا المكتشفة المخترعة لاشياء لم تكن موجودة من قبل كاكتشاف كروية الارض أو البخار أو غيرهما ، هذه الاكتشافات هي التي خلقت قيما اجتماعية جديدة وعلاقات اجتماعية جديدة اسمها البورجوازية الاوربية واضطرت ان تواجه الكنيسة والعقيدة المسيحية لان هذه العقيدة لم تعد قادرة على تفسير المكتشفات العلمية الحديثة . البرجوازية المصرية برجوازية بائسة وتعسة منذ البداية ونشأة النهضة هي نشأة هذه البورجوازية عندما وجد فكر الطهطاوى خلال الفترة العلوية لم يكن لهذا الفكر اى علاقة بالمجتمع اطلاقا لكن بعد ذلك أصبح لهذا الفكر فى مجتمع جديد وبينه طبقية اجتماعية جديدة ، لكن فى الحقيقة انه على صعيد الفكر المحض نهضتنا من 150 سنة هى نهضة النقل سواء النقل عن السلف الصالح أو عن الغرب ولم تكن نهضة الابداع وهذا فرق نوعى بيننا وبين النهضة الاوربية ، فرواد النهضة لم يبدعوا فماذا قالوا ؟ قالوا الاسلام النقي الصافى الخالى من خرافات عصور الانحطاط ، هذا ليس شيئا جديدا هذا موجود ونقله الينا شبلي شميل وسلامة موسى وبطرس البستانى وناصيف اليازجى. نقلونا الى الغرب وقالوا لنا : هناك اشتراكية وهناك ماركسية وهناك تكنولوجيا وهناك نظرية التطور وتحرر المرأة فقلنا نحن كذلك ، وبالتالى المعادلة النهضوية هى معادلة هذه البورجوازية الممسوخة ، هذه المعادلة هى نتيجة زواج شىء منقول سواء عن الماضى أو عن الغرب . ويقصد بكلمة الغرب فقط نقل الغرب تكنولوجيا من تحديث الآلة وتحديث المصنع وتحديث الارض وغيرها ، أما تحديث العلاقات الاجتماعية فلم يحدث والى الآن سوف تجد فى أكثر المجتمعات العربية تطورا للعلاقات الاجتماعية مختلفة وبدائية ولا علاقة لها بالآلة العلاقة بين العامل والآلة التى يشتغل عليها هى علاقة توفيقية تماما يعنى حرفته توظيف هذه الآلة للانتاج فقط لكن ما هو الفكر الذى هو وراء هذه الآلة التى هى ليست مجرد حديد وصفيح وكهرباء وانما هى فكر ، هى تجسيد لفكر وهى تجسيد لعلاقات اجتماعية غير موجودة فى بلادنا . لم تكن تجربة محمد علي بداية الارتباط بالاستعمار لا بالعكس .. إن محمد علي هزم لانه أراد الاستقلال ، ولكنه أى استقلال ؟ هو استقلال هذه الامبراطورية التى حاول ان يضم اليها الاستانة نفسها فوصل فى فتوحاته الى اليونان . فكانت غاية محمد علي الاستقلال عن أوربا وعن رجل أوربا المريض ولكنه ضرب فى محاولته وتلك بالضبط محاولة عبد الناصر بعد 150 سنة . السياق التاريخي محترم نحترمه وان فيه أشياء

جديدة الى آخره . فعبد الناصر مختلف تماما عن محمد علي ولكن هناك أوجه عديدة للشبه . ومن المفيد أن نقول : إن آخر حلقات المعادلة النهضوية كانت الحلقة الناصرية التى أريد فيها بناء وحدة عربية ، لكن اية وحدة عربية ان وحدة عربية بدون ديمقراطية مستحيلة ، وتركيزى على الديمقراطية هو نتيجة غيابها من الاصل منذ بداية النهضة . فلم يحدث تحديث للمجتمع وانما وجدت لافتات ليبيرالية فقط بدون مجتمع ليبرالى حقيقى ، والطريف فى الموضوع ان الاستعمار الذى يعلمنا فى المدارس والجامعات ما هى الليبرالية فهو لا يسمح بهذه الليبيرالية فى بلادنا كذلك الاقطاع والبورجوازية لا يسمحان بذلك لان هذه الليبرالية لا تفيد المجتمع الذى نعيش فيه .

الاستاذ البشير بن سلامة :

فكرة الربط بين محمد علي وما كان يتوق اليه وبين عبد الناصر هى نفس الفكرة التى خطرت ببالى فى الواقع ما كان يرومه محمد علـي هـو نـوع من الخلافة العربية وليست الاسلامية ولكن مفهوم الخلافة موجـود ومغروس فى اذهان العرب والمسلمين وهذا يجرنا الى القول بأن قبل عبـد النـاصر الملك فـاروق نفسه أراد أن يرجع هذه الخلافة ، اذن الحلقة موجودة منذ عهد محمد علي ثم الملك فـاروق . وهذا الامر يحتاج ربما الى تحليل والى زيادة توضيح بالنسبة لعبد الناصر ، لان الامر فى الواقع يختلف تماما . لكن هذا الامر هو الذى يجرنا الى القول بأن الفكر العربى هو فكر مرتبط بالسلفيـة كثيـرا أن فكرة الخلافة والوحدة العربية هى مرتبطة ايضا فى ذهنه بشيء واحـد يكـاد يكون شيئا واحدا .

الدكتور غالي شكري :

لم أقصد فى الحقيقة فكرة الخلافة بالمعنى التقليدى وانما قصدت أول شبـه بين التجربة المصرية والتجربة العلوية فى الطموح الى الاستقلال بهذا المجتمع العربى عن الغرب . ولذلك ضرب عبد الناصر من سنة 56 الى غاية 67 ولكـن بناؤه لهذه الوحدة العربية لم يبق غير ثلاث سنوات أى وحدة مصر وسوريـا فلماذا ؟ لسببين رئيسيين ، السبب الاول : هو غياب الديمقراطية وهذا عنصر مستمر من محمد علي لغاية عبد الناصر رغم الفَوارق الكمية بين كـل عهـد وآخر . السبـب الثـانى : ان القـوة الصـانعة لهـذه الوحـدة هى القـوى البورجوازية التى ليست لها أية مصلحة فى قيام وحدة عربية . الصحيح ان

القوة الاجتماعية المرشحة لانجاز الوحدة هى الجماهير الشعبية العربية وبما أن الديمقراطية غائبة سقط البناء ، وليس الوحدة العربية بين مصر وسوريا فقط وانما حتى داخل مصر نفسها لان اقطاع الدولة ايام محمد علي اصبح عندنا شيئا نسميه رأسمالية الدولة، نسميها الاشتراكية القومية فهى شعارات فقط والممارسة اقليمية تماما . ولذلك أنا أرجع للكلام الذى تفضل به زميلي الدكتور طاهر لبيب وهو كلام هام جدا عن فكرة الهزيمة ومجتمع الهزيمة ، فى الواقع ان الاشتراكية لم تهزم سنة 67 لانه لم تكن هناك اشتراكية ، الديمقراطية لم تهزم سنة 67 ، القومية لم تهزم سنة 67 لانه لم تكن هناك قومية بالمعنى الصحيح ، لم تكن هناك ديمقراطية على الاطلاق فسقط البناء . ومع ذلك فان الشارع الشعبى تصور أن الاشتراكية هى التى هزمت وان القومية العربية هى التى هزمت فكان البديل أمرين ، التيار الاسلامى المتطرف الموجود فى مصر منذ زمان ولكنه تطور سنة 68 ، علت اصوات التيار الاسلامى المتطرف والتيار الليبرالى . والواقع ان التيارين وجدا مناخا خصبا جدا فى العشر سنوات الاخيرة لكن فى الحقيقة هذا ليس مقصورا على مصر وانما هذا موجود فى كل البلاد العربية التيار الاسلامى المتطرف والتيار الليبرالى ، ولكن للاسف ان التيار الليبرالى مرتبط فى ذهن الكثيرين بالنمط الاقتصادى يعنى مجتمع انفتاحى تصاحبه الليبرالية وهذا صحيح من الناحية النظرية فعلا لكن من الناحية الواقعية نجح هذا فى مصر ، ففى مصر مجتمع انفتاحى اقتصادى بمعنى التبعية المطلقة للاحتكارات الغربية ولكن لا تمثل الديمقراطية على الاطلاق مما أدى فى النهاية الى الفاجعة التى يسميها « هيكل » بالمأساة الاغريقية ، يعنى أن الديكتاتورية المروعة أدت الى الارهاب المضاد فحدث ما تعرفون . ان ازدهار التيار الاسلامى المتطرف والتيار الليبرالى ليس حلا انما هو تعبير عن ازمة ، تعبير عن الازمة اكثر منه حل للازمة. الديمقراطية يجب أن ترتبط بأصحاب الحق والمصلحة وهم الاغلبية الساحقة من الشعب فى صنع القرار السياسى ورقابة تنفيذه ، أما فى أيام السادات فلم تكن هناك ديمقراطية وانما مجرد لافتات . وبالنسبة للتيار الاسلامى ولا شك اننا كلنا ننتمى للحضارة العربية الاسلامية لا يمكن تحويل الاسلام الى سلاح سياسى ضد الخصوم وارجاعنا الى انماط لا علاقة لها بالاسلام وانما لها علاقة بعصور انحطاط المسلمين .

فى ندوة اخرى كان البحث يدور فيها حول ما يسمى الطريق السادس بين الطريقين العاملين وكان أكثر المدعويين غالبيتهم العظمى تهاجم بحدة الاتجاه

الماركسي والاتجاه الليبرالي ، فطلب مني التعليق وانا أريد أن أكرر ما قلته في هذه الندوة ان نحن نبحث أو نهاجم أفكارا لم تطبق في واقعنا على الاطلاق ولا نناقش الجرائيم الحقيقية الموجودة في واقعنا نحن نناقش الماركسية فأين هو المجتمع العربي الماركسي ، نحن نهاجم الليبرالية أين هو المجتمع العربي الليبرالي حتى نهاجمه في ضوء الواقع وليس في ضوء تهيئات أو اختلافات نظرية . علينا ان نبحث اسرار واقعنا الذي هو ليس بماركسي وليس بليبرالي. واقعنا ما هو بالضبط ؟ : هو مجموعة أنساق فكرية غير متبلورة، الافكار التي تستطيع اذا أتيح لها الانتشار الجماهيري مغيرة ومقهورة ومضروبة باستمرار. أصبح أي فكر جديد يخيف وكأنه مقدس من المقدسات ، أصبح كل شيء من المقدسات لا يمس ، لا التراث يمس ولا حتى الحضارة الغربية المتجسمة أحيانا في عادات وقيم يومية تمس واقعنا هو واقع غربي وليس واقعا عربيا ، واقع مستلب وهذا الاستلاب هو الذي يؤدي حقيقة الى الهزائم والى ما نسميه بالغياب المطلق والجذري لارضية الديمقراطية التي بدونها لا نستطيع ان نصل الى نقطة جديدة من أجل نهضة جديدة أنا لا أوافق اطلاقا على أن مشروع النهضة لم ينجز انه أنجز كما فهموه . ان القوى الاجتماعية التي أشرت اليها في أثناء حديثي والتي آمنت بما يسمى النهضة انجزت أقصى ما تستطيع ، هذه هي نهضتهم . نحن بحاجة الى ثورة ثقافية جديدة ولا أقصد بهذا التعبير المصطلحات الشائعة كما هو الحال في الصين مثلا ولكن فعلا نحن بحاجة الى ثورة ثقافية جديدة وكلمة ثقافية هنا تعني الربط المتين بين الفكر والمجتمع وردم الهوة بين النخبة وبين الجماهير .

الدكتور طاهر لبيب :

يبدو لي أن المقولة الاساسية تتعلق بالربط بين النهضة والهزيمة . وأريد أن أرجع الى هذه الفكرة ، عندما قلت بأن النهضة العربية كانت تحمل بذور تناقض رئيسي بين المشاريع النهضوية الفكرية والاجتماعية والممارسة السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى غير لك ، فانا قصدت ان النهضة العربية وازت ظروفا تاريخية معروفة ، وازت التوسع الامبريالي ، وهنا الامبريالية بمعناها العلمي الحديث يعني هي الرأسمالية الاحتكارية ليس الاستعمار فقط مما جعل المشاريع الفكرية للنهضة العربية من المستحيل موضاعيا ان تنجز ، هذا رأيي . ماذا أقصد ؟ أعطيت انت مثال للبورجوازيات وهذا صحيح وهذا يؤكد ما ذهبت اليه من ان المشروع النهضوي لم ينجز في مستوى الممارسة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لسبب بسيط هو أن

دخول المجتمع العربى فى النظام العالمى الذى كانت ميزته الاساسية التوسع الامبريالى الاستعمارى جعل من الصعب بل من المستحيل على القوى الاجتماعية الاقتصادية والسياسية التابعة بذاك الشكل ان تنجز مشاريع شاملة بالمعنى الشامل لا فقط تحرر سياسى أو فكرى وانما مشروع متكامل من نوع مشروع محمد علي وانى اعتقد أنه اذا لم يكتب لتجربة محمد علي أن تتواصل بعـده وأن تصبح مضاهية أو مماثلة لتجربة اليابان فلأن تجربة محمد علي كما قلت فى تدخلى الاول جاءت فى ظروف الارهاصات الامبريالية والتوسع واستعمـل بمعنى العلمي للكلمة كظاهرة عالمية وكما قلت انت فعلا فان الامبريالية العالمية ممثلة فى ذاك الوقت فى الانقليز لما رأى ان تجربة محمد علي ستكون فعـلا نهضة تحديثية عربية وانها ستكون أمبراطورية من النوع الذى ذكرت، ضربتها الامبريالية العالمية ممثلة مرة أخرى فى الانقليز قبل أن تقصـم ظهـر هـذه التجربة على الساحة العربية بمشروع إسرائيل . اليابان كان شيئا آخر ـ هنا أريد أن أجيب (الاستاذ بن سلامة) أنا أعتقد أن تجربة اليابـان لا يمكـن اعادتها ، لا يمكن اعادتها فى الوضع العـربى لسبب بسيط هو ان تجـربة اليابان أى تحديث اليابان تصنيع اليابان أساسا والذى كان مجتمعا فلاحيـا واقطاعيا نفسه بشكل سريع كان ذلك ممكنا لانه كان سابقا أو كان بمعـزل عن تدخـل القـوى الغربية ويعنى بدقة التدخل الامبريالى الغـربى ، صلـة اليابان بالغرب كانت بسيطة فى وسط القرن السادس عشر يعنى قبل أن تكون هناك ظاهرة اسمها الامبريالية فى التاريخ ، على سبيل المثال اذكر بأنه فى بداية القرن التاسع عشر لم تكن الا هولندا لها صلة ديبلوماسية باليابان ، على سبيل المثال أيضا أذكر بأن فى أواسط القرن التاسع عشر قامت ثـورة كبيرة فى اليابان لاسقاط مشروع انفتاح اليابان على الغرب لانه كانت هناك مبادرات من النظام يعنى فى اليابان للتعاون تجاريا الى غير ذلك مع الغـرب وفعلا كانت البواخر الهولندية والبرتغالية والاسبانية والفرنسية فى الموانىء اليابانية وتكونت نوع من التجارة والتعاملات مع الغرب فوقفت قوى كبيـرة فى اليابان تحتج على هذا واسقطت مشروع التعامل مع الغرب يعنى اسقطت مشروع التبعية للغرب . وفى 1882 أنشأت اليابان بعد بنك اليابان فى أواخر القرن التاسع عشر هذه ايضا ظاهرة اخرى ، فى أواخر القرن التاسع عشر أصبح اليابان قوة هو نفسه امبريالى ، اصبح قوة توسعية واحتل كوريا واحتل الصين ودخل فى بداية القرن العشرين فى المعركة المعروفة مع روسيا الى غير ذلك أصبح هو نفسه قوة توسعية ، وبالتالى نستطيع أن نقول بأنـه عكسـا لمشروع محمد علي ، تجربة اليابان وسر نجاح اليابان فى تنميته يرجـع الى

الطريقة التى توخاها والسر أيضا هو ان اليابان لم يكـن بعد تحـت وطـأة التوسع الغربى الاستعمارى والامبريالى بالشكل الجديد (وهذا يعنى) ، ان التناقض الرئيسى فى رأيى بين المجتمع العـربى والامبريـالية العـالمية هو تناقض بدأ فى عملية النهضة بدأ فى فترة النهضة ولكنه تناقض ما يزال قائما ولن يحل بعد . هذا ما أردت أن ألفت اليه الانتباه وهو ان النهضة الفكـرية التى فكريا (وليسمح لى صديقى الدكتور غالي) لم تنجز بعد الفكر النهضوى فيه الديمقراطية وفيه الاشتراكية وفيه العدالة الاجتماعية وفيه عدة قضايا ، صحيح انه مستورد من الغرب لكن جاءت بقيم كثيرة وهذه القيم لم تنجز بعد أى لم يصبح لها مقابل فى الممارسة الاجتماعية . هذا فكريـا لكن موضوعيـا وبنيويا اذا اخذنا بعين الاعتبار المجتمع بنية المجتمع متكاملة لم يكن من الممكن للقوى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية نظـرا الى التـدخل الاجنبـى ان تستقل وان تكون عندها مشاريع مستقلـة وهـذا مـا يفسـر ايضـا ضعـف البورجوازيات العربية ايضا ومن جملتها ليسـت البورجوازيـات العـربية لم تنجز ثورة بورجوازية ، فيا حبذا لم تنجز ثورة بورجوازية فى البلاد العربية فيها القيم وفيها ما جاءت به بورجوازيات اخرى ولكن كانت تابعة وبقيت عبر فترة النهضة تابعة وليس لا من صالح ولا باستطاعة القوى الامبريالية العالمية ان تسمح لهذه التجارب العربية بأن تستقل وان تقدم مشاريع بديلة وهذا ما يفسر ضرب عبد الناصر .. ضرب محمد علي ثم ضرب عبد الناصر ، وربما المقارنة بمحمد علي وعبد الناصر فيها نوع من التجوز ، تجربة عبد النـاصر رغم كل الاخطاء التى ارتكبت رغم كل الاخطاء التى وجدت فيها تعتبر تجربة ، فى هذا المنظور من وجهة منظور التخلص من التبعية وتكوين مشروع وطنى مستقل نسبيا فى الظروف العالمية المتاحة تعتبر تجربة عبـد النـاصر متقدمة وهذا ما يفسر انه أول من ضرب وهذا شيء ليس من غريب الصدفة ، ان أول من ضرب على الساحة العربية هو عبد الناصر فى البلد الذى فيه أكثر تقاليد سياسية وأكثر تقاليد فى الديمقراطية رغم كل الاخطاء لكن فيه تجربة وفيـه تعدد أحزاب . والنكسة الناصرية هى فعلا كان تفطنا من طـرف الامبريـالية العالمية الى أن تجربة عبد الناصر كانت تجربة يعنى متقدمة وربما اجـرأ مما يجب فى الظرف العربى ، وأنا لا استبعد أن أى تجـربة فى البـلاد العـربية سيكون عندها هذا الاتجاه . انى انظر الى عبد الناصر من منظور وطنى يعنى منظور مصرى لانه انسان جاء الى مجتمع مصرى وأراد أن يتحرر وأن يكـون اقتصاد نسبيا مستقلا وثقافة وطنية وثقافة جماهيرية وتحديد ملكية الى غير ذلك يعنى مشاريع عبد الناصر لا يمكن ضربها هكذا . وفى رأيـى لا يمكـن

مقارنة عبد الناصر بمحمد علي خاصة وأنك ذكرت مواصفاته التى لا تنطبق على عبد الناصر .

الدكتور غالي شكري :

ما هى هذه المواصفات التى ذكرتها والتى لا تنطبق على عبد الناصر ؟

الدكتور طاهر لبيب :

معادلة الامبريالية ، الامبريالية غير موجودة فى عهد محمد علي ، وأشرت الى أن مفهوم الامبراطورية العربية يختلف عن مفهوم الوحدة العربية عند عبد الناصر أيضا وهذا أهم ، والعوامل العالمية والعلاقات الدولية أيضا فى عهد محمد علي وعبد الناصر مختلفة ثم انجازات عبد الناصر سياسيا على الصعيد الدولى أنها مختلفة يعنى هناك أشياء فى رأيى . ان اندماج البلاد العربية فى النظام العالمى الجديد خلق تناقضا أساسيا بين المصلحة العربية والمصلحة الامبريالية التى نشاهدها اليوم متبلورة بشكل أصبح يعرفه حتى الانسان الذى لا يعرف القراءة والكتابة ... التناقض الاساسى هو الآن بين العرب والامبريالية الامريكية مثلا فى القضية الفلسطينية اصبح شيئا واضحا جدا ، ان هذا التناقض موجود فى النهضة وانه فى المستقبل لا يمكن فى رأيى أن تطرح مشكلة الثقافة والابداع والثقافة الوطنية والتعريب وطريقة اللباس لان الامبريالية هى ظاهرة تتدخل فى كل شيء ، الامبريالية هى ظاهرة تخترق كل النسيج الاجتماعى ، تجعلك عاجزا عن التعريب . أنا اعتقد أن كل بلد عربى فيه أناس نزهاء وفى جهاز الدولة أناس نزهاء من أجل التعريب من أجل بناء ثقافة وطنية من أجل فيلم عربى من أجل كتاب عربى لكن هناك عجز موضوعى ، هذا العجز الموضوعى يعنى أساسه الهيمنة الغربية على البلاد العربية ، فهذه قضيتنا . فكيف يمكن أن تطرح قضية الابداع الفكرى او قضية انشاء ثقافة وطنية بمعزل عن هذا السياق العام وهذا التناقض الاساسى الذى هو بين العرب كامة يمكن لها أن تنهض ولها قدرات مهولة تهدر الآن وبين عدو أساسى له مصالح اقتصادية وفكرية وسياسية والذى يسمى الامبريالية وهذا خيط اذن ممتد من النهضة الى الآن . وهذا ما جعلنى أقول : إن المشروع لم ينجز .

الاستاذ البشير بن سلامة :

تبلورت الآن الامور وذكرت الكلمة ، كلمة الامبريالية وبطبيعة الحال ان النهضة العربية وان الشعوب العربية والانظمة العربية اصطدمت بالغرب

واصطدمت بما نسميه بالامبريالية اصطدمت أولا بالاستعمار ثم فيما بعد بالامبريالية ، هذه حقيقة وهذه الحقيقة هى التى يعرفها رجال النهضة وكل التيارات التى ظهرت حتى بعد الحرب العالمية الثانية والاتجاهات الايديولوجية والفكرية وهى تواجه هذه الامبريالية . لكن ضعفها هو انها ترضى بها ولكن تضعها فى معادلاتها فهى المظهر الوحيد الذى تبنته كل هذه التيارات وكل هذه الاتجاهات . انها تتحدى فقط . ومن هنا يأتى ما نسميه بهزيمة الفكر العربى وانا اتشبث بهذه الكلمة لان التحدى فقط ومواجهة الامبريالية فى اتجاهاتها المتعددة الفكرية والمادية وغيرها هو الذى جر العرب الى هذه النكبات والى هذه النكسات ، ان الامبريالية اذا تحدثنا عنها من ناحية القوة المادية والقوة الفكرية والقوة الايديولوجية ليست موجودة فى أمريكا فقط أو فى أوربا بل هى أيضا موجودة الآن فى مكان آخر والذى هو فى واقع الامر يتحدى ولكن بصورة أخرى الغرب ، الذىأوجد نوعا من الفلسفة الفكرية نسميها الماركسية وهى وليدة المجتمع الغربى لكنها هى التى تقاوم هذا المجتمع الذى خلقت منه ، فهذه المجتمعات هى تتحدى بصورة أخرى وبصورة قوية هذه الامبريالية وهذه القوة التى تريد أن تهيمن . نحن العرب نتحدى بالكلام ونتحدى بالمظاهر ربما الجماهيرية الكبيرة ، نتحدى بتفكير كان موجودا فى المجتمع العربى الاسلامى القديم وهى الامكانية الوحيدة فالخوارج النكار مثلا الذين ينكرون كل القيم ، كل ما هو موجود وكل المذاهب والفرق وكل الملل .فهم موجودون الآن عندنا فى العالم العربى . لكن البديل ليس هو التحدى ، ليس هو التشبث بالماضى وبالسلف ، وليس هو انكار كل شيء ومحاولة البحث عن بديل لهذا بطرق فوضوية وعشوائية وللاسف هى موجودة ببعض البلدان العربية . اذن فالموضوع ليس هو فى وجود هيمنة وفى وجود امبريالية ظاهرة ومعروفة لكن هو فى موقف العرب ، موقف العرب من هذه الامبريالية . ان الموقف الذى اتخذه العرب من هذه الامبريالية هو الذى جر الهزيمة . هذا هو الاساس ، اذن نحن انهزمنا فكريا وايديولوجيا ؟، ما العمل كيف يمكن ان نعالج المشاكل ؟ ، كيف يمكن ان نتعامل مع هذه القوى التى نسميها امبريالية أو نسميها شيئا آخر وهى موجودة وهى ماثلة وهى متداخلة فى المجتمعات ، هل نتعامل معها أو هل نبقى نتحداها كما تحديناها طيلة ثلاثين أو أربعين سنة؟ ما العمل؟ هذا هو الموضوع وهو موضوع خطير. اذن هو موضوع أنظمة الحكم،موضوع جماهيرى الى غير ذلك،لكن فى واقع الامر كيف؟هذا هو السؤال الخطير . اذن هذا هو الموضوع . ماذا نفعل امام هذه الهزائم ، امام القناع الذى سقط عن كل التيارات وعن كل ما كانت تعلقه الجماهير العربية من آمال

فى هؤلاء الذين تحدوا الغرب وأعطوا امكانيات وبريقا من الامل لنهضة عربية شاملة وهم فى الواقع فسحوا المجال للتطرف الديني من جهة الموسوم بالسلفية الطافحة من قرون الانحطاط والصراع الطائفي والمذهبي وفتحوا الطريق للتطرف اليسارى والنابع من الفكر الغربي الحديث وكلا التيارين سيغرقان البلدان العربية والاسلامية فى الحروب والدماء ويسهاون بالتالى على الامبريالية مهما كانت ! زيادة التشفى واستغلال الفوضى المنجرة عن ذلك والامعان فى بث أسباب التأخر فى مجتمعاتنا .

الدكتور غالي شكري :

فى الحقيقة بدأت كلامى فى موضوع النهضة بأن الناصرية كانت آخر حلقة وأرقى حلقة سقطت ، ولم أكن فى هذا التعبير اقصد اطلاقا كما تعلم تماما التقليل من الناصرية ولا منجزاتها ولكن يبدو لى من خلال حديثك ان المرحلة العلوية تنال منك تقييما أقل من المرحلة المصرية.فى الحقيقة عندما تقول: المرحلة المصرية آخر وأرقى مرحلة فى النهضة ونقارن بينها وبين محمد علي انما نمتدحها ، فالامبريالية كانت وصلت بجيوشها الى القاهرة ، فمحمد علي فعلا ليس محررا فقط وانما هو مؤسس الدولة الحديثة فى مصر ، وابراهيم باشا وهو لا يقل خطورة عنه رغم انه ابنه هو الرجل الذى ركب حصانه وقال : لن أتوقف الا عند آخر رقعة تتكلم العربية ، محمد علي هو الذى عمل التحديث الجذرى فى مصر والذى لا يزال باقيا وليس عبد الناصر الا أكثر من امتداد متواضع للتقليد العريق الذى ارساه محمد علي ، أى شيء ترونه مهما فى مصر هو من اصالة محمد علي ، والحقيقة عندما نقول : ان الناصرية سقطت كمرحلة أخيرة من مراحل النهضة لا نقصد عبد الناصر شخصيا ولا الدولة المصرية وانما نقصد هذا النمط فى نظام الحكم والذى فى رأيى ما زال باقيا فى بعض الاقطار العربية وما زال موجودا . والجواب على سؤالك وهو السؤال الرئيسى يعنى ماذا نفعل ؟ انا أنطلق من النهضة ، مشروع النهضة وهذه نقطة الخلاف الوحيدة مع الدكتور طاهر لبيب أما بقية الكلام فأنا موافق عليه وانما فعلا النهضة هى نهضتكم وليست نهضتنا ، هى نهضة تلك البورجوازيات المسموخة أشباه البورجوازيات التى نمت من الاحتكارات الاجنبية الامبريالية والاقطاع وبالتالى ،النهضة نهضتكم وهذا يعنى اقصى ما يستطيعون ان يصلوا اليه وسنة 25 و 26 هامتان فى النهضة بالنسبة لمصر وهى كما تعلمون محاكمة الشيخ علي عبد الرازق على كتابه الاسلام وأصول الحكم ومحاكمة طه حسين

على كتابه فى الشعر الجاهلى هم ابناء البورجوازية نعم واقصى شيء عملوه انهم كتبوا هذه الكتابات ، واقصى شيء عملته البورجوازية انها صدرت الكتابين فقط لكن هذا كان اقصى عطاء لهذه الطبقة وهذا النظام . وتلك النهضة هى نهضة البورجوازية وقد انتهت ولكن القضية ما هى النهضة البديلة ؟ هذا السؤال ، يمكن أن يكون هناك عذر فى القرن الماضى ولغاية منتصف القرن العشرين للنهضة البورجوازية ان الطبقات الاجتماعية المرشحة لتثوير النهضة واقامة نهضة جديدة لم تكن فى المستوى الذى يؤهلها لذلك ، ففى الحقيقة حين نقول كما قال رواد النهضة التراث والعصر، نحن ننكر عليهم انهم لم يوفقوا الى الجدل والى تركيب هذا التراث وذلك العصر ، نحن ننكر عليهم هذا ولكن ماذا نفهم نحن الآن من هذا التعبير ،؟ هل هو تعبير خاطىء تماما أم انه تعبير يجب ان يتضمن محتويات جديدة ، مثلا قضية التراث ، قضية التراث عند النهضة هى كما قلت من قبل : الاسلام الصافى النقى ، النص القرآنى الاصلى الينبوع والغاء أو شطب كل عصور الانحطاط هذا الفهم للتراث هو فهم جزئى ومبتور وناقص الى حد كبير فالتراث فى الحقيقة له ثلاثة أوجه فى تقديرى ، له وجه انسانى عام ، له وجه قومى ، له وجه اجتماعى . قصدت بالوجه الاول وهو الوجه الانسانى العام : ان تراثى ليس فقط ما كتبه أبو العلاء المعرى والفارابى وابن خلدون، وانما كل ابداع فى التراث الانسانى العام هو ملكى. هذه مقدمة ونقطة بداية لاى تفكير جديد فى التراث ، اذا لم اجعل الوجه الانسانى للتراث وجها أصيلا من تراثى فانا على خطأ فالحضارة العربية الاسلامية كانت اولا حوارا مع التراث الانسانى حتى القرآن ، حتى القرآن كان حوارا مع الحضارات السابقة ، حوارا مع المسيحية ، حوارا مع اليهودية، فالفلاسفة المسلمون وعلماء الكلام تحاوروا مع ارسطو ومع افلاطون ومع الفلسفة الهندية ومع كل الفلسفات ، إذن لم يكن هذا الوجه الانسانى للتراث حاضرا فى صميم تراثى فعندما أقول للطفل : التراث والعصر، يفهم ان كلمة التراث لا تعنى فقط الاسلام وانما تعنى كل التراث الانسانى حينذاك يبدأ تفكير من نوع جديد ، هذا هو الوجه الانسانى باختصار ، الوجه القومى اى انا عربى بين شعوب انسانية مختلفة لى طابعى ، هذا الطابع لا استمده من عصور الظلام الاسلامية وانما استمده من الحضارة العربية الاسلامية في أوج ازدهارها وأحاول اكتشاف قوانينها. ما هى قوانين هذه الحضارة وكيف تطورت؟ قوانينها العلمية المضمرة فى الحركة الاجتماعية للتاريخ وليس مجرد ما اقرأ نصا لابن خلدون فما هى القوانين التى أتفهمها من كتابته التاريخ والمقدمة. ان الحضارة العربية الاسلامية تعطينى وجها قوميا ، هو جزء لا يتجزأ من تراثى . يتكون هذا الوجه لا من نصوص جزئية

أو من عبادات أو من غيرها فقط وانما يتكون من عدة اشياء سوف نجدها فى أهم ما كتب فى تراثنا العربى الاسلامى : العقلانية ، الحرية ، الحوار مع الآخر، المنظور التاريخى ليس شيئا ميتافيزيقيا خارجا عن سياق التاريخ فعندما آخذ هذه الاركان الاربعة الاساسية من الحضارة العربية الاسلامية أقول التـراث ، هذا هو التراث لكن ليس التراث هو المعنى الدارج ، أو المعنى الذى استخدمه النهضويون ، الوجه الثالث : الوجه الاجتماعى للتراث ، ليس كل ما وصلنا من الماضى هو تراث . ففى الامثال الشعبية عندنا فى مصر آلاف من الامثال التى تحرض على العبودية وعلى الاستغلال وعلى مظاهر منحـرفة فى السلـوك الانسانى ، هذا تراث ولكن هل هذا هو التراث الذى اقصده عندما أتكلم هنا عن الوجه الاجتماعى للتراث ؟ والى جانبها هناك امثال شعبية أخـرى عديـدة تحرض على النقيض ، لماذا ؟ لانه كان هناك صراع اجتماعى فى تلك المجتمعات التى أخذ عنها ما أسميه تراثا ومن هنا فالوجه الاجتمـاعى والـوجه القـومى والوجه الانسانى للتراث هو ما يشكل أو يجب أن يكون قوالب جديدة لصياغة ما أدعوه بالتراث . كلمة العصر : انا ابقى على هذه الكلمة وليس تفضلا منى وانما لانى أعيش فى هذا العصر نقول الحضارة الغربية وهى كلمة فيها تجاوز شديد هى حضارة عربية بقدر ما اضاف اليها الغرب فقط ، ولكن هى حضارة انسانية فى البداية والنهاية هى وريثة أعرق الحضارات ، هى وريثة الحضارة الصينية هى وريثة الحضارة المصرية القديمة ، الحضارة اليونـانية ، الحضارة الغربية المعاصرة هى ايضا وريثة الحضارة العربية الاسـلامية نفسهـا فربما كانت هناك فكرة عند ابن سينا او البيرونى او غيرهما ، هذه الفكرة نحن لم نلتفت اليها لاننا ربما نكون قد تخلفنا عنهـا بحكـم دخولنـا تحـت الهيمنـة العثمانية والسلطنة ، ولكن الغرب أخذ هذه الفكرة وطورها وعمل منها شيئا جديدا ، اذن هناك حضارة انسانية مركزها الجغرافى لاسباب عديدة جدا هـو الغرب ، ولكن لا يعنى ان الغرب لم يضف الغرب اضاف ، ولكن فى النهـاية هذا السياق الحضارى هو سياق شاركت فيه كل الشعوب بما فيه أنـا نحن شركاء أصيلون فى تكوين هذه الحضارة ولا ينبغى تجزئتها حتى لو تصبح هى الامبريالية وحدها ، التى هى أعلى مرحلة فى تطور الاستعمار الغربى فى مجال الاقتصاد والسياسة والحضارة الغربية فيها اشياء لا حصر لها وأنا أحـب أن استخدم تعبير الحضارة فى الغرب ، لان الحضارة الغربية هى جزء من الحضارة الانسانية الحديثة ، ربما اجد هذه اللوحة التى امامى التى رسمها فنان تونسى يمكن أن يكون فيها فى اللون او فى الخط او فى التعبير او الظلال او فى الضوء أشياء دون ان يشعر الفنان فى لا وعيه أنها مأخوذة من حضارات اخرى بعيدة

وعميقة ، وهذا نفس الشيء بالنسبة للفنان الغربى فى الموسيقى فى الفن التشكيلى فى الادب . يمكن أن نجد قصيدة بعض عناصرها يمت الى افريقيا وبعض العناصر الاخرى يمت الى آسيا الى آخره فنحن شركاء أصليون فى هذه الحضارة وهى بمعنى ما حضارتنا . أقول هذا الكلام حتى لا يكون هناك مركب النقص وعقدة التفوق الغربى علينا . نحن شركاء فى هذه الحضارة ومن حقنا التفاعل معها التفاعل الابداعى وليس التفاعل النقلى كما فعل رواد النهضة الاولى التفاعل الابداعى بمعنى أن أدخل مرحلة العطاء ومرحلة الاضافة ولا أكون مجرد مستهلك للجوانب المادية أركب الطيارة والسيارة وعندى الثلاجة والسخان وأشياء من هذا القبيل . نحن أمة مستهلكة للحضارة وليست أمة منتجة ، ان مرحلة العطاء ومرحلة الانتاج مشروطة . فى خاتمة المطاف تفضل الدكتور طاهر لبيب بالقول : ان القطع مع الاستعمار الغربى فى الميدان الاقتصادى والاجتماعى والسياسى يدخلنا مرحلة حضارية جديدة وهذه هى الحقيقة . نحن لسنا فى حاجة الى نهضة جديدة وانما نحن فى حاجة الى ثورة ثقافية شاملة يبقى فيها الابداع منطلق من هذا التصور الذى قدمته للتراث : الوحه الانسانى الوجه القومى الوجه الاجتماعى وهذا التصور الذى قدمته للعصر ومفهوم العصر وهو ليس مفهوم الغرب بمعناه الاستعمارى فقط وانما هناك سياق حضارى طويل جدا مركب جدا معقد جدا ، لا بد من أن أتفاعل معه بمنتهى الحرية . ان التراث بهذا المعنى والعصر بهذا المعنى الذى أقدمه ليس مجرد أفكار نظرية وانما يحتاج الى تكوين اجتماعى جديد وتصور من جديد . فالوحدة القومية لا تبقى مجرد شعارات والاشتراكية لا تبقى مجرد رأسمالية الدولة والديمقراطية لا تبقى مجرد ادعاء أو ليبرالية غربية مثل ليبرالية الطوائف فى لبنان التى أدت بهم الى المأساة التى نعرفها .

الدكتور الطاهر لبيب :

فيما يخص السؤال الخطير ما العمل وكيف ؟ فى الواقع يصعب على الانسان أن يعطى حلا والسؤال مطروح منذ زمان وقام على التحاليل السابقة يعنى على التناقض بين المصلحة مصلحة العالم الثالث بصفة عامة ومصلحة المجتمع العربى بوجه خاص وبين المصالح الامبريالية العالمية . يعنى هذا التساؤل هل بالامكان ان تنجز المجتمعات التابعة المقهورة اقصد بذلك الموجودة فى نظام عالمى غير عادل هى باستطاعة هذه المجتمعات موضوعيا ان تنجز مشاريعها فى اطار هذه التبعية ؟ هذا سؤال مطروح منذ زمان طويل والاجابة عنه اقرب الى لا منه وهذا مصدر المشكلة وهذا ما يفسر ان هناك

وجهتى نظر سائدتان فى التحاليل ، هناك وجهة نظر تقول : بانه لا حل لبلدان العالم الثالث عموما وللمجتمع العربى خصوصا لا حـل لهـا الا بالتخلص من التبعية أى بشكل واضح بالقطيعة مع النظام الرأسمالى الذى يبتـز خيـراتها والذى يراقبها ولا يسمح لها بطريقة أو بأخرى بالنهوض وهذا ما يفسـر ان البلدان المتخلفة تزداد تخلفا . هذه قضية وهذا الطرح نوقش كثيرا ولا يزال يناقش هناك حل آخر يطرح الآن ما العمل داخل اطار التبعية وثمـة مجموعة كبيرة من المفكرين حتى من العرب تقول : بانـه عـوضا عن طـرح البديـل الصدامى ، بديل القطيعة الكاملة مع الغرب نحاول ان نقدم مشاريع مـرحلية داخل اطار التبعية المفروضة التى ليست باستطاعة هذه الـدول ان تتجاوزهـا دون دفع ثمن باهض لا سيما وان التجارب السائدة كان ثمنها باهضا من نوع القطيعة ولكن على حساب الديمقراطية مع تكريس الدكتاتورية ، سياسية رفع الشعارات سياسة تعسفية واضطهادية باسم الاشتراكية أو باسممشروعبديل، هذه القضية ، وبالتالى يبقى دائما هذان الطرحان الموجدان اذا استثنينا طبعا الطرح الذى يقول هناك امكانية تنمية الى غير ذلك . انا يتهيـأ لى أن تجـربة المجتمع العربى مختلفة ايضا وحتى فى الواقـع كان بالامكـان منـاقشة ايضا مضمون المجتمع العربى لانها انظمة مختلفة سياسيا واقتصاديا وفكريـا وان كان تجمعهم اشياء هو ان تجربتهم تبين كما قلت قبل حين ان المصالح العربية وحرب لبنان والقضية الفلسطينية بينت هذا بما لا مجـال للشـك فيـه . ان المصالح العربية ومصالح القـوى الكبـرى والمصالـح الامبريـالية الاقتصادية والسياسية وغير ذلك مصالح متناقضة وانه من الصعب فعلا حل هذا المشكل مشكل النهضة يعنى ان التنمية صعبة فى كلتا الحالتين سواء فى القطيعة أو أو فى البحث عن حل داخل اطار التبعية يعنى فى كلتا الحالتين مهما كان الطرح فانه من الصعب على المجتمعات العربية ان تنمو ، ان تنمى نفسها تنمية ذاتية قائمة على قدرتها الذاتية ، على قدرتها الفكرية والمادية ان تنهض هذا النهوض أو تنمى نفسها بدون ايجاد صيغة جديـدة فى التعـامل مع هـذه الامبريـالية العالمية . كل حل يتجاوز هذا التناقض بين المصالح العربية والمصالح الاجنبية هو مقبول ، كيف الوصول الى ما هو طبيعة هذا الحل هنا يبدو لى ان تجـربة الفكر العربى تبين انه يجب التخلى عن الترسيمات التحليلية الجاهزة مهما كان مصدرها هذه الفكرة اصبحت اليوم واضحة يعترف بها اليمين كما يعترف بها اليسار العربى لان اليسار العربى نفسه تبين له ان كثيـرا من تحاليلـه هى تحاليل كانت فوق الواقع وكانت تسبح وكانت تتعامل مع مقولات عامة مغربية ولكنها لا صلة لها بالواقع . لكن فى المستوى الفكرى كما تبين ايضـا تجـربة

المجتمع العربى ان البحث عن حل لا يمكن ان يكون بدون حد ادنى من الديمقراطية ، الديمقراطية الفكرية ، الديمقراطية السياسية أولا وحرية الفكر أى حد ادنى من الفكر ـ الذى يسمح حتى للانظمة العربية نفسها ان يستغل الطاقات الموجودة والتى هى مهمشة الآن أو مهمشة ذاتيا . هناك مثقفون يهمشون أنفسهم ذاتيا بالتخلى عن الساحة . تواصل فى المجتمع العربى فقدان الحد الادنى من الديمقراطية الفكرية والسياسية عندما نتحدث فى الواقع عن الديمقراطية فاننا نأخذها بالمعنى السياسى ولكن هناك ديمقراطية اجتماعية وهى أهم من الديمقراطية السياسية وثمة أيضا الديمقراطية بين المثقفين أنفسهم ، فاذن هناك حل كما قلت ، هذا الحل لا يكون الا فى مشروع اجتماعى سياسى ثقافى وبالتالى كله حضارى يعنى نحو التخلص شيئا فشيئا من هذه الهيمنة الغربية ، وهذا هو الشيء الوحيد البديل الذى يسمح لاى نظام عربى بأن ينشيء ثقافة وطنية وبأن يبدع أهله وهو أهم شيء،لان غياب الديمقراطية ـ وليست مسألة سياسية فقط ـ غياب الديمقراطية معناه حرمان المجتمع العربى من توظيف الطاقات الجماهيرية مثلا ولا يستغرب ان الجماهير أحيانا تبقى تنظر تتفرج الى بعض الانظمة وهى تتهاوى لانها لا تعتبر انها معنية بالامر ولانها لم تشرك ، يعنى لم يقع تشريكها لم تشارك لا فى بلورة المشاريع ولا فى نشر الافكار الى غير ذلك فبغياب الديمقراطية لا اعتقد ان الفكر العربى يمكن أن يبدع .

الدكتور غالي شكري :

عندما تقول لا بد من فسح المجالات للديمقراطية فانت توجه خطابك لاولي الامر أليس كذلك ؟ نحن نبحث منذ البداية عن بديل ، سؤال السيد البشير ما هو الحل ؟ كلمة ما هو الحل ليس فى اطار مجتمع الهزيمة نحن انهزمنا كذلك وليس حكامنا فقط . أنت أشرت الى نقطة بالغة الاهمية وهى الديمقراطية التى لا تمارس فى البيت التى لا تمارس بينى وبين ابنى او ابنتى، الديمقراطية لا تمارس داخل منظمات المعارضة فى الوطن العربى كله ، كل مثقف نتيجة مجتمع الهزيمة ، يعتبر نفسه هو الفكر هو البداية والنهاية هو الالف والياء يعنى دكتاتور صريح وبالتالى فكرة الحوار منعدمة حتى بين المثقفين . نحن أبناء هذا الجيل عاصرنا ابشع ألوان الهزيمة خلال العشرين سنة التى مرت أو خمسة وعشرين سنة أو ثلاثين سنة ، وبالتالى لا استطيع أن نتصور أن الجيل الذى ننتمى اليه ـ مع تفاوت فى الاعمار ـ قادر على ان يعطى فى المستوى

الاجتماعي ، لا أستطيع أن أتصور انه قادر على العطاء فى المرحلة القادمة ، فمجتمع البديل يحتاج الى جيل جديد يستطيع أن ينهض بهزيمة صورية وكل ما نستطيع أن نعطيه له هو خلاصة التجربة الماضية فقط ، اما اذا تصورنا ان الجيل الذى انتمى اليه انا شخصيا هو جيل الهزيمة فنحن خاطئون ، نحن لسنا من صناع هذه الهزيمة نحن من ضحاياها ولكن نحن ابناء هذه الهزيمة الى اى مدى نستطيع ان نخترق الجدار كالمعجزة أو كالمستحيل ، انا لاحظت من خلال الكلمات الاخيرة للدكتور طاهر أنه يوجه خطابه لكى تكون هناك ديمقراطية هذا اقصى ما يستطيع ان يقوله وهذا يعنى اننا لا نملك غير طلب ولكن ليس هذا هو المجتمع البديل المجتمع البديل هو شىء مختلف تماما .

الاستاذ البشير بن سلامة :

أريد أن أختم الجولة الاولى هذه لحديثنا عن هذا الموضوع الخطير وأوجه سؤالا ربما سنجيب عنه فى المرة القادمة ، هو انه فى واقع الامر نحن نتحدث عن النهضة ونتحدث عن ثورة ثقافية ، ونتحدث عن امبريالية وهيمنة وتبعية وما هو البديل لكل هذا ، ولكن يبقى سؤال آخر : ماذا نريد نحن بالتحديد ؟ ماذا تريد جماهيرنا ؟ هل أن كل هذه المفاهيم وكل هذه الافكار التى لها جذور قديمة منذ عدة قرون أو هى وليدة العقود الحالية هل أن هذا كله يهمها ، هذه الجماهير لا أقول الجماهير غير المثقفة ، أقول الجماهير المثقفة ، جماهير الطلاب الموجودين الآن فى جامعاتنا فى كلياتنا ، ماذا يريدون ؟ هذا سؤال نطرحه .

السنة الثامنة والعشرون

بهذا العدد تفتتح مجلة « الفكر » سنتها الثامنة والعشرين واعدة قراءها الكرام بتواصل المسيرة الفكرية خدمة للادب العربى والثقافة الانسانية فى هذه الربوع الخضراء من وطننا العربى الاكبر .

أغنية منفية

شعر : عبدالله منصور
(فلسطين)

الليلة ياكلّ الشعراءْ . (*)
سأغني أغنيةً منفيه .
تتسكّع مثل الفقراءْ .
بحثا عن كسرة خبز سقطتْ منْ فم كلبٍ يحمل إسما وهويه .
وسأعزف كلّ الوقتِ على عظْمي ... لحنا محفوراً في وجه الفقراءْ .
وعلى رَمْس صبيّه .
حلمتْ يوما بفقير أسْمَرْ .
لا يخشَى السجنَ ولا السجّان .. يعيشُ على الجُبْنَةِ والزّعْتَرْ .
وتمنّتْ ولداً مثل أبيهْ .
يحمل جرحا ويُرَبّي مهراً ..ويُخَرْبِشُ فوق الدفترْ .
أرقاما غضْبَى ... و حروفا حُبلى !..
وخطوطا كالزورق لحظةَ أنْ أبْحَرْ .
من ميناءِ الشوقِ لميناء الارض المسْبِيّهْ .

* * *

الليلة يا كلّ الشعراءْ
سأغني أغنيةً منفيهْ .

(*) شارك الشاعر عبد الله منصور (فلسطيني مقيم في الاردن) بهذه القصيدة في المهرجان العالمي للشعر بأستروقا (يوغسلافيا) .

ألّفها منبوذٌ مثلي يكنُس يوميا كلّ الأرْصفة المنْسِيّةْ .

« على العين يا بو الزلف
زلفه حيفاويه .
يا حبأب ترحلوا ..
ظلوا حواليه »

ورفاقي كانوا حَوْلي رَفة نُورْ
مرّ الموسمُ فارتعشوا .. والموسمُ من خمر واشاعات وعطورْ .
هُبّي يا ريح الأيام المدفونة في عينيْ
وارتفعي يا أصواتَ المنتظرين ليالي العرس الكنعانيْ
لم يبق سوى خطوةِ طفلٍ أعمى بين جدارِ الكفرِ ومحْرَابِ الشّعْب
الوارثِ أخْذَ الثأرِ بِدَمٍ نَبِيْ .

فأنا مقهورٌ مثلَ رفاقي ...
وأنا مجروحٌ مثلَ رفاقي ...
وأنا أحملُ قلبي في كفي مثل رفاقي ...
ورفاقي ذَهَبُوا ... لكنْ تركوا لي باروداً ووصيّةْ :

« صناجيعٌ يوميا دَرْبَ الثوار بحَجْم الكرة الارضية »

* * *

الليلة ياكلّ الشعراءْ
سأغني أغنيةً منفيةْ .
يعرفها (منفيٌ) و(أنَا)
وأنا منْ حيفا ، ولحيفا في قلبي هَرَمٌ وحنينْ .
وهوية وَجْهِي ... حُزْنِي
وأنا أعشق أن أقضي العمرَ حزينْ .

لا أملكُ إلا سرّي ، قلمي .. ودفاتر أشعاري
أكتبُ فيها رَفْضِي .. ألمي .. إيماني ..
وأدوّنُ فيها أشياء كثيرهْ
حُزْنَ المنكوبيْنْ .
ظلمَ المظلوميْنْ
خِزْيَ المهزُومينْ .
وحكاياتِ أناسٍ ماتوا جوعا ...
وحكاياتَ أناسٍ ماتوا شبعا ...
وحكاياتِ أناسٍ دَمُهُمْ مِنْ قارٍ.. وضمائرهمْ من طِينْ :

* * *

الليلة ياكلُ الشعراءْ
سأغنّي اغنيةً منفيهْ .
ليسَ معي إلاّ الغربة والأحزانْ
والثعلبُ يعوي خلْفَ شبابيك صبيّةْ
مارسَها القرصانْ .
والأُمّ تصلّي مِنْ أجل الولدِ الساري للأرض النبويّهْ .
علّ الموسمَ يأتي
ويصير الليل شتاءْ .. ويصير الحبّ شتاءْ .. ويصير الجرحُ شتاءْ
فالغرباءُ الغرباءُ الغرباءْ
انتظروا هذا الموسمَ كي تُغسَلَ آثارُ دموعٍ ودماءْ
ما زالتْ بقعا فاضحةً فوق ثياب شقيقتنا
تلكَ الكانتْ عذراءْ .

عبد الله منصور
(فلسطين)

فن القصة العربية الحديثة في فلسطين
جذوره ونشأته

بقلم : د. محمد عبد الله الجعيدي
(مدريد)

جذوره :

يمكن لدارس الادب الفلسطيني ان يلاحظ بسهولة ندرة الدراسات المخصصة للقصة اذا ما قورن ذلك بالدراسات التى تعالج فنونا اخرى من هذا الادب ، وهى ظاهرة تكاد تسود بقية اجزاء الوطن العربى (1) واول دراسة جادة لهذا الفن تمثلت فى كتاب « القصة القصيرة فى فلسطين والاردن 1850 ـ 1965 » (2) كما يفهم من العنوان فالكتاب يقتصر على معالجة فن القصة القصيرة ويتوقف عند سنة 1965 التى تمثل بداية مرحلة انتقالية هامة فى تاريخ الادب الفلسطيني الحديث . مرحلة بدأ الاديب خلالها يتحسس حقيقة واقعه وآفاق مستقبله . ومن ناحية اخرى فالكتاب يقتصر على دراسة المجموعات القصصية المنشورة فى كتاب ولم يعر انتباهـا للقصص المتفرقة فى ثنايا الصحف . ومن هذه الدراسات ما جاء فى كتاب « حياة الادب الفلسطيني من النهضة حتى النكبة » (3) وهو افضل دراسة لهذه الفترة من تاريخ الادب الفلسطيني يعود اليها الباحثون .

بعد 1967 يتألق نجم القصة الفلسطينية ويبرز على الساحة كتاب كبار يحققون شهرة فى الوطن العربى ويبدأ اهتمام الدارسين يتزايد ، فيخصصون

---

1 ـ عبد المحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر (1870 ـ 1938) دار المعارف ، القاهرة 1963 . ص 5 .

2 ـ هاشم ياغى : القصة القصيرة فى فلسطين والاردن (1850 ـ 1965) معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة 1967 .

3 ـ عبد الرحمن ياغى : حياة الادب الفلسطيني الحديث من النهضة حتى النكبة ، بيروت 1968 . وهو أهم مصدر اعتمد عليه هذا المقال .

دراسات كاملة لعلم القصة الفلسطينية فى هذه المرحلة (غسان كنفانى) مثال ذلك ما فعله افنان القاسم (4) ورضوى عاشور (5) واحسان عباس (6) .

وعندما ندرس القصة الفلسطينية ونعمل على ابراز شخصيتها ، فان ذلك لا يعنى نصب سياج يفصلها عن القصة الام فى اجزاء اخرى من الوطن العربى او اقتلاعها من جذورها العربية . ولكن التحدى الذى تواجهه هذه القصة يجعلنا نؤكد على هويتها المحلية انطلاقا من ان الاقليمية الفلسطينية شرط أساسى لا بد من وجوده لتحقيق الوجود القومى الذى لا بد من وجوده كشرط أساسى لتحقيق تحررها ووحدتها وتقدمها أى انه بتأسيس الاقليمية الفلسطينية تبدا عملية تأسيس الوجود القومى للامة ، من خلال نفى النفى » (7) .

فالقصة الفلسطينية الحديثة غصن من اغصان القصة العربية الضاربة جذورها فى اعماق التاريخ حيث تلتقى مع جذور اخرى للقصة العالمية فتؤثر فيها وتتأثر بها .

جذور قصصية قديمة :

لما « وقف الانسان البدائى مذهولا مرتعدا أما الظواهر الطبيعية ولم يسعفه تفكيره البسيط الى فهمها التمس لها تفسيرا فاعتقد ان لها روحا تماثل روحه واضفى عليها الحياة وراح يعبد القوى منها ويتملقه .. وقد مثل هذا التفسير الساذج لظواهر الطبيعة اول لبنة وضعها الانسان فى صرح الفن

4 ــ افنان القاسم : غسان كنفانى ، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ووزارة الاعلام ، بغداد 1978 .

5 ــ رضوى عاشور : الطريق الى الخيمة الاخرى ، دار الاداب ، بيروت 1978 .

6 ــ احسان عباس وآخرون : غسان كنفانى انسانا واديبا مناضلا ، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، بيروت 1974 .

7 ــ فواز كاسين : فلسطين والوجود القومى للامة العربية ، لجنة الدراسات الفلسطينية ، بيروت 1975 .

القصصى فى مرحلته الاسطورية (8) كما نراه فى الطقوس الفرعونية واساطير الحرب البابلية .

وفى القرن الثانى الميلادى يقدم النثر اليونانى بشائر قصصية ذات طابع ملحمى مغرقة فى الخيال تمثلت فـى قصص « اسيـر الاحباش » و « دافنش وخلويه » وهى اعمال لا تخلو من تأثيرات فرعونية وبابلية ، وليس هذا بغريب فالحضارة اليونانية اخذت عـن سابقاتهـا وتتلمذت على دياناتهـا وآدابهـا وقوانينهـا (9) .

فالقصة فى الادب العربى ليست جديدة كل الجدة (10) ففى أدب مـا قبـل الاسلام قصص كثيـرة تدور حول أيـام العـرب التى قيل انهـا بلغت الفـا وسبعمائة يوم ، اشهرهـا يوم داحس والغبراء ويوم البسوس ، وقـد وصف العرب هذه الايام بصـورة دقيقة تصف الواقع المعاش تلك الفترة ، وهى من صفات القصة الواقعية الحديثة . ومن الفن القصصى فى تلك الفترة احاديث الكهان وما روى من تعامل الانسان مع الجـن ، هذا بالاضافة الـى الاساطير التى تدور حـول شخصيات اسطوريـة كشخصية لقمان بن عاد وشخصيـة الزباء وهـذا القصص بالرغم من دلالتـه الشعبية فانه يفتقر الى كثيـر مـن خصائص القصة الحديثة التى نعرفها اليوم . وفى الشعر العربى لهذه الفتـرة نجد « أوصال الملاحم واجزاءها وعناصرها ، بيد انها لم تجمع على نسق واحد ولم تلتق على وحدة جامعية وكان يمكن لايـام العرب ان تشكل قـاعدة قويـة لبنـاء قصصى متطور لولا ان ما فيها من واقعية تجمع الخيـال جعلت العـرب ينصرفون عنها الى فن الشعر الذى اطلقوا فيه العنان لخيالهم .

وفى ظل الاسلام كان لقصص القرآن عن الانبياء والشعوب التى ارسلـوا اليها اثـر كبير فى نفوس العرب ، حيث لعبت هذه القصص التى تصل الـى

---

8 ـ نبيلة ابراهيم : أشكال التعبير فى الادب الشعبى ، ص 9 دار النهضة القاهرة وانظر أيضا : Leuis Spense : The Outlines of Mythology, P. : 13 New York 1961

9 ـ عبد القادر حمزة : التاريخ المصرى القديم : الجزء الاول ، صفحة 152 القاهـرة .

10 ـ شوقى ضيف : العصر الجاهلى ، صفحة 399 ، دار المعارف القاهرة ، 1965 .

الخمسين قصة دورا كبيرا فى تثبيت العقيدة وترسيخ الايمان فى نفوسهم حيث كانوا يهرعون الى الرسول لكى يبسط لهم الحديث فى بعضها .

وفى عهد الخلفاء الراشدين تحول فـن القصص الى ما يشبـه منصبـا يتولاه القادر عليه . وكان على بن ابى طالب يستمع الى القصاصين فى مسجد البصرة فاعجب بقصص الحسن البصرى واقصـى عن المسجد من لم يره اهلا للقص على الناس . أما معاوية فقد اتخذ من عبيد بن شريه قصاصا خاصا له يحيـى ليـاليه ، وكان يأمر بكتـابة كل ما يقوله بن شـريه ، ويذكر ابن الاثيـر فى « المثل السائر » أن القصاص كانوا يرافقون الجيوش الفاتحة ويذكر الجاحظ فى « البيان والتبيين » جملة ممن يقصون فنونا كثيرة من القصص . وقد هدف القصص فـى هذه الحقبة الى الوعظ وتقديم العبر حيث كان يستمع لـه بعد صلاة الجمعة . أما خـارج المساجد فقد ظهر القصص الابداعـى مثل « قيس ولبنـى » و « مجنـون ليـلى » و « جميـل بثينـة » هذا بالاضافة الى الشعر القصصى .

وفى العصر العباسى تشتد عملية جمع التراث وحركـة الترجمـة ، فتأتى لنا أمهات كتب الادب العربى مثـل « الاغانى » و « العقد الفريد » و « البخلاء » بباقات من هذا التراث القصصى الذى غلبت عليه موضوعات الحب والشجاعة أما الترجمة فقد ازدهرت عن الفارسية واليونانية والهنديـة . فعن الفارسيـة ترجم عبد الله بن المقفع كتاب «كليلة ودمنة» وأضاف اليه باب برزويه وحذف منه أبوابا أخرى ، وحملت هذه الترجمة المقفعيـة الى الاندلس ، وفى سنـة 1261 م أمر الفونسو الحكيم ملك قشتبالة بترجمتهـا الى القشتـالية (اللغـة الاسبانية) ، كما ترجم بن المقفع عن الفارسية كتاب « الف خرافة » الفارسى وأضاف اليه قصص كتبها العرب على نمط القصص السابقـة وقصص أخرى جمعها الجهشيارى عن أخبـار العرب والروم والفرس ، وقد انصهـرت هـذه المجموعات الثلاث فى بوتقة واحدة فأخرجـت لنا قصص « ألف ليلة وليلـة » عنوان القصص الشعبى ومفخرة الادب العربى بين الاداب العالمية (13) وعـن

---

11 ـ محمود تيمور : القصص فى أدب العرب ، صفحة 33 ، معهد الدراسات العربية القاهرة ، 58 .

12 - Inostranev : Iranian Influence on Mostem Literature, translated by Narinann, Bombay 1918

اليونانية ترجم اسحاق بن حنين كتابي « فن الشعر » و « الخطابة » لارسطو ، أما الملاحم اليونانية فقد أوضح الجاحظ فى « الحيوان » سبب عدم ترجمتها « بأن الشعر لا يستطاع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل ، وما حول قطع نظمه وبطل وزنه وسقط موضع التعجب منه ، والكلام المنثور المبتدأ أحسن وأوقع من المنثور الذى تحول من موزون الشعر » . (13) .

هذا عن القصص الشعبى المترجم والقصص العامي فى لهجته أما القصص باللغة الفصحى فقد وصلتنا منه المقامة التى ابتدعها بديع الزمان الهمذانى سنة 398 هـ. وهى عبارة عن قصة قصيرة تدور المحاورة فيها بين شخصين وقد هدفت الى تعليم الناشئة « وتعبر المقامات عن حوادث مستقلة من أيام البطل صيغت فى اسلوب قصصى يشيع فيه الحوار » (14) وفى القرن الحادى عشر الميلادى ارتقى الحريرى بهذا الفن من ناحية التحليل النفسى الى درجة تقترب من النضج الفنى فى القصة الحديثة . وقد انتقلت المقامات الى الاندلس وهناك ترجمت الى اللاتينية والعبرية . وفى منتصف القرن الخامس الهجرى يضع ابو العلاء المعرى « رسالة الغفران » وهى رحلة تخيلها المؤلف فى الجنة ليحل فى دنيا الخيال مسائل ومشكلات ضاق بها فى عالم الواقع.وخلافا أو اتفاقا مع بعض الباحثين فقد تأثر ابن شهيد بالمعرى فوضع « التوابع والزوابع » (15) وفى القرن الثانى عشر الميلادى وضع ابن طفيل أول قصة علمية أجمع النقاد على أنها أفضل قصة كتبت فى العصور الوسطى ، انها قصة « حي بن يقظان » وقد لاقى القصاص تشجيعا من الخلفاء سواء فى المشرق أو فى الاندلس . فابن خلكان يروى بأن الخزرجي ادعى لهارون الرشيد رضاع الجن كما ادعى بأنه بايع الجن لولى عهده فقال له الرشيد : « ان كنت قد رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا ، وان كنت ما رأيته فقد وضعت أدبا » » (16) .

ومما يجدر ذكره أن كثيرا من الخصائص التى ذكرناها تعد من مقومات وأركان القصة الحديثة ، وقد مهدت بعض هذه الخصائص الطريق أمام

---

13 ــ الجاحظ : الحيوان . عن محمود تيمور : المرجع السابق ص 55 .

14 ــ شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى : صفحة 247 ، دار المعارف ، القاهرة الطبعة الخامسة .

15 ــ أحمد هيكل : الادب الاندلسى من الفتح الى سقوط الخلافة ، الطبعة الثالثة ، صفحة 8 ، دار المعارف ، القاهرة 1967 .

16 ــ ابن خلكان : وفتيات الاعيان .

القصة الاوربية فى العصور الوسطى . وكانت بمثابة أساس قامت عليه القصة العربية الحديثة .

فن القصة العربية ودوره الحضارى :

حقا إن القصة الاوربية الرائدة قد تأثرت بالتراث اليونانى والشرقى كما تأثرت بالروح المسيحية . ولكن تأثير القصص العربى كان أشد وضوحا وكان دوره أكثر فعالية فى انماء هذا الفن فى الاداب الاوربية حيث غير كثيرا من الطابع الملحمى فى ذكر الخوارق والتحليق مع الخيال وجذب الرواية الاوربية الى نطاق واقعى فراحت تعالج الامور المألوفة لدى الناس وتتخير أبطالها من البشر ولم يعد البطل ربا يجترح المعجزات ويحطم كل العوائق لقد كان ذلك كله بفضل تأثير المقامة ، وكان « أدب العلماء » أول كتاب تظهر فيه تأثيرات « ألف ليلة وليلة » ، فقد ترجم هذا الكتاب الى اللغات الاوربية وحاكاه القصاصون الاوربيون واقتبسوا منه ، وكان ذلك واضحا فى قصص دون جوان مانويل ، وظهر تأثير «أدب العلماء» فى بوكاتشيو الايطالى الذى كان فى قصته « الديكاميرون » ملهما لكبار كتاب أوربا أمثال شكسبير وڤوته وشوسر ولسنغ ودانييل ديفو وسويفت وفولتار .

ويظهر تأثير المقامة واضحا فى قصص الفروسية (17) كما هو الحال فى قصة La Carel de Amor لسان بدرو ، وفى قصة « الفارس والعربة » للانسيلو وكذلك فى « دون كيخوتى دى لامنتشه » لميجل سير بانتس ، كما أن تأثير قصص الحب العذرى واضح فى قصص الفروسية الاسبانى وخاصة عند كريتان دى تروا وسان بدرو وجارنى . كل هذا مهد الى ظهور قصص الشطار فى القرنين السادس عشر والسابع عشر فى اسبانيا ، وهى قصص تصف العادات والتقاليد للطبقات الاجتماعية الدنيا ، وتتحدث عن همومها ومشاكلها متناسية تلك الاحلام الهادئة التى كانت تملأ القصص الخيالية فى فترة سابقة وتعتبر El Lazarille de Tormes أول قصة شطار فى الاداب الاوربية وتكاد تكون توأما للمقامة وخاصة فيما يتعلق بوصف شخصية البطل (18) وبهذا قاد الاسبان الاداب الاوربية نحو الواقعية .

---

(17) Angel Conzolez Palencien : Histoire de la Lileraturе Arabigo - Espaniola, P. 135, 143, 341. Madrid 1945

(18) T. F. C. Green : French Novelistr, vol, 1 P· : 219

ويظهر تأثير « كليلة ودمنة » فى « كتاب الفابليو » الذى اشتهرت قصصه فى فرنسا ، بل واكثر من ذلك فان قصة اللص الذى يتسلق نور القمر قد نقلت حرفيا من « باب برزويه » فى كتاب « كليلة ودمنة » الى « الفابليو » . وظهر تأثير « كليلة ودمنة » فى قصص دون خوان مانويل ، وظل كتاب أوربا يتناقلون هذا التأثير حتى جاء لافونتين الفرنسى فأحسن استغلاله بصورة واضحة .

كل هذا يضاف الى فضل الحضارة العربية فى تعريف أوربا بالثقافة والاداب اليونانية مما كان له أطيب الاثر فى توجيه الباحثين الاوربيين فى عصر النهضة نحو الرجوع الى النصوص الادبية والفلسفية اليونانية . وهكذا بدأت القصة الاوربية تخطو خطواتها الاولى متأثرة فى اتجاهها بالقصة العربية حتى تتوجت مسيرتها بقصة « باملا » للكاتب الانجليزى رتشارد سن سنة 1740 التى يعتبرها النقاد أول قصة واقعية متطورة فى أوربا .

وبظهور المسرح الكلاسيكى فى القرن السابع عشر تمتزج الواقعية بالتحليل النفسى كما يظهر ذلك فى قصة La Princesse de clèves بينما يهتم هذا المذهب بالطبقات الاجتماعية فان قضية الفرد والمجتمع ظلت مهملة لديه حتى جاء المذهب الرومنتيكى فاولاها عنايته . وبقيام المذهب الطبيعى على انقاض المذهب الرومنتيكى تصبح القصة اكثر قربا من الواقع من أى وقت مضى كما نلمس ذلك فى « المهزلة الانسانية » لبلزاك ، حيث راحت القصة تعايش الجماهير وتصور أغوار النفس البشرية ، وتغوص فى الجوانب السيئة للافراد والجماعات تعالجها (19) وقد مثل الادب الروسى هذا الاتجاه فى قصص تولستوى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وفى النصف الاول من هذا القرن ظهرت قصة Ulysse للكاتب الايرلندى جيمس جويس كمثال للمذهب الرمزى فى القصة . ثم ظهرت بعد ذلك القصة البوليسية كنتيجة حتمية لتقدم التكنلوجيا .

فن القصة العربية فى دور الاحياء والتجديد :

كل هذا التطور فى فن القصة حدث والعرب فى غفوتهم ــ أو قل ــ فى سجنهم الثقافى الذى فرضه عليهم انهيار دولتهم وخضوعهم للاستعمار

(19) F. G· Green : French Novelists vol ,1, Page 219

الاجنبى . ولما اتصل العرب بالحضارة الاوربية الحديثة ونشأت لديهم الطبقة الوسطى وما ترتب عنها من ازدهار الصحافة تهيأت لهم الظروف للاطلاع على التطور الذى وصل اليه فن القصة ، والاستفادة منه فى بناء قصة عربية حديثة . ويجب أن لا ننسى بأن هذه الظروف ما كانت لتخلق قصة عربية حديثة لولا الاستعداد الفطرى والمعرفة السابقة لدى العرب بهذا الفن فالقصة العربية الحديثة نتاج لاتحاد ثلاثة روافد أولها التراث العربى الفصيح ممثل فى المقامة وثانيهما التراث الشعبى العربى فيما تناقله من قصص وخرافات على مر العصور وثالثها الرواية الغربية الحديثة .

وقد مرت القصة العربية الحديثة بأطوار ثلاثة حيث بدأت بالتعريب والتوليد ثم بالمحاكاة والتقليد ، وانتهت بالابداع .

وبدأ دور التعريب والتوليد بترجمة رفاعه رافع الطهطاوى لقصة فنلون الفرنسى « مغامرات تليماك » سنة 1834 . وقد تصرف رفاعه بالترجمة حيث مزج فيها الكثير من القصص الشعبى وأضاف اليها ما شاء من شعر وحكم . وخلال هذه الفترة التى تمتد حتى نهاية الحرب العالمية الاولى تنشط حركة الترجمة العشوائية التى كان يقوم بها الشاميون الوافدون على مصر للعمل فى الصحافة حيث كان القصص المترجم بتصرف يستخدم كمشهيات فى الصحف .

وبعد الحرب العالمية الاولى بدأت الترجمة الحرفية الدقيقة للقصص الاجنبى واصبح لدينا قصص غربية حقيقية منقولة عن الاصل نقلا دقيقا . ويؤخذ على الترجمة أن الذين قاموا بها « لم يهتموا بالانتاج الاكثر جودة وانما اهتموا بكتاب اكثر شعبية وشهرة مثل سير ولتر سكوت والكسندر دوماس الذى يصف الباحثون فنه الروائى بالبدائية والشعبية » (20) .

أما دور المحاكاة والتقليد فقد بدأ بتقليد المقامة العربية حيث وضع أحمد فارس الشدياق سنة 1855 ترجمته الذاتية « الساق على الساق لما هو الفارياق » التى حملت من المقامة اسلوبها اللغوى وروحها الهزلية ، كما اعتمدت الترجمة على اسلوب السرد القصصى . وعلى طريق الشدياق جاءت محاولات ناصف اليازجى وحافظ ابراهيم وعلى مبارك واحمد شوقى وفريد

20 ــ عبد المحسن طه بدر : نفس المصدر ، صفحة 130 .

وجدى وابراهيم المويلحى ومحمد جمعة وأحمد صادق الرافعى . وقد اتجهت القصة فى مرحلة المقامة الى النقد الاجتماعى متأثرة بالقصة الاوربية ، وكان « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحى 1902 أهم عمل يمثل التقاء الثقافة العربية فى دور انحدارها مع الثقافة الاوربية المزدهرة . فقد اتبع المويلحى اسلوب المقامات الهمذانية فى عرض الاحداث ، الا انه تحرر الى حد كبير من قيود المحسنات البديعة ولم يعر انتباها للقضايا اللغوية والادبية التى شغلت كلا من الهمذانى والحريرى ووجه جل اهتمامه الى النقد الاجتماعى ، وربط الاحاديث بخيط روائى يقوم على السرد .

أما دور الابداع فيمكننا التماسه فى أول قصة تحمل الكثير من مواصفات القصة الاوربية الحديثة وهى « زنوبيا » لسليم البستانى سنة 1871 ، وحذا هذا الحذو جرجى زيدان فى قصصه التاريخية التى تقترب من النوع الذى يسميه النقاد قصة الحادثة . وهو أبسط أنواع الرواية وأكثرها بدائية وسذاجة حيث أن من النقاد من يرفض اعتباره رواية فنية على الاطلاق . (21) وسار على نفس الطريق طه حسين فى « الوعد الحق » وتوفيق الحكيم فى « أهل الكهف » ومحمد فريد فى « ملكة تدمر » واحمد شوقى فى « مجنون ليلى » ومحمود تيمور فى « اليوم خمر » ، « هؤلاء وأمثالهم من عشرات القصاصين كانوا يستنزلون الوحى من سماء الشرق ويستلهمون روح الشخصيات العربية التى استفاض حديثها فى القصص والاساطير ، ويصورون ذلك فى قصص فنى الصياغة والاطار » (22) وتعتبر مجموعة قصص « فى بيوت الناس » لمحمد لطفى جمعه 1904 أول محاولة عربية فى فن القصة القصيرة ، وهى أقرب ما يكون الى المقامة الهمذانية وفى سنة 1912 نشر جبران روايته « الاجنحة المتكسرة » التى تعتبر من الناحية الفكرية والفنية تمهيدا لرواية « زينب » التى ظهرت سنة 1914 لمحمد حسنين هيكل واعتبرها النقاد « بحق محاولة كاملة فى صنع قصة بالمعنى الغربى الحديث » (23) وفى نفس السنة صدرت « سنتها الجديدة » لميخائيل نعيمة وقد اعتبرها النقاد أول قصة قصيرة ناضجة فى الادب العربى (24) .

---

21 _ Forster : Aspects of the Novel, P : 46.

22 _ محمود تيمور : نفس المصدر ، ص 63 .

23 _ شوقى ضيف : الادب المعاصر فى مصر ، ص 209 ، القاهرة 1961 .

24 _ نعيم حسين يافى : محمود سيف الدين الايرانى رائد القصة القصيرة فى فلسطين ، مجلة الاداب فبراير 1965 صفحة 29 ، بيروت .

وقد تميزت القصـة العربية قبل الحرب العالمية الاولى بطابع المحليـة والسرد التاريخي والاجتماعي دون الارتباط بمذهب فني واضح بالاضافة الى عدم تخصص كاتبيه في هذا الفن فقد كانوا صحفيين يهدفون من ورائه الـى ملء أكبر مساحة ممكنة في صحفهم وكأن الفن القصصي تقليدا للاتجاهـات الغربية ولا يمت بصلـة للبيئة العربية ، وبعد الحرب العالمية الاولـى بدأت القصة العربيـة تتجه اتجـاهات فلسفيـة وواقعية في معالجـة المشكـلات الاجتماعية السائدة فظهرت لطه حسين « الايـام » ولابراهيـم عبد القـادر المـازني « ابراهيم الكاتب » حيث اعتنى فيها بالجـانب النفسي بين الرجـل والمرأة ، وللعقاد « سارة » حيث اهتم بالتحليل العقلي والنفسي ، ولتوفيق الحكيم « يوميات نائب في الارياف » حيث اعتنى بالنقد الاجتماعي . وكانت « اللص والكلاب » لنجيب محفوظ مثال الروايـة الفلسفيـة ، و « مواسـم الهجرة الى الشمـال » للطيب صالح مثـال قصة الاغتـراب ، و « مذكـرات دجاجة » لاسحق موسى الحسيني مثال الرواية الرمزية .

فقد تميزت القصـة العربية بعد الحرب الكونيـة الاولى بطابعهـا العربي الشرقي فصـورت البيئة المحليـة بكل تعقيداتها السياسيـة والاجتماعيـة وتأثـرت بالقصص العالمي وخاصة ما جـاء مـن الادب الروسـي أو الادب الفرنسي أو الادب الانجليزي .

(يتبـع)

محمد عبد الله الجعيدي

ننشـر في الأعـداد القـادمة

مختارات من شعر الكسندري .. تعريب : د. عبد الله حمادي	
واحد وعشرون (قصة)	نافله ذهب
السندباد (شعر)	محمد المهدي بن نصيب
قلعة الشقيف (قصة)	جواد صيداوي
انهض من جنازتي وأمشي (شعر)	يوسف الخطيب

الفاسُ.. والكفيّة.. و"الرُّملوكُ" العربي!

شعر: الصادق شرف
(ابو وجدان)

« فاقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم .. » فليس غير ذلك يخدم النصر والحب والسلام !

① دبروفنيك : 26 / 8 / 82

المرأة اغتُصبت أمام الطفل وانسحبَ الرجالْ .!
تتكبَّدُ الاوجاعَ .. كلٌّ خسائر الاغراس في عرس القتالْ .:
تتوجع الاوضاع فيها .. والحديدُ بها يميدُ .. على الجبالْ ..
ستظل تهجمُ بالولائم في الدخان على المآتمْ ..
بهزائمِ الزيتون في بيروتَ تهدلُ ، أفحمت سِرْبَ الحمائمْ ..
فلينسحبْ منها الرجالُ على هديل الطلق من كبد الهزائمْ ..

* * *

خُتِمَ الهديلُ بصرخة الميلاد مِنْ حَلْقٍ جديدْ ..
.. يتخلل الرحمَ الشهيدَ هوى الترابْ ...
وتقوم إثرَه مرْأةٌ اخرى تزغردُ للوليدْ
يا ذا الوليدُ وقد تلغّم بالصراخِ .. وامه
قد كان لغَّمَـهَا السكوتْ ..
لا تسألِ «المستقبليكَ» بداخل المنفى الجديدِ عن الصراخ .. وانما
سلهم : لماذا انتَ .. انتَ أمرْتَ امَّك أنْ تموتْ .. ؟
سلهم : لماذا أنجدوكَ .. فوزّعوك على القبائِل كالخيوطْ .. ؟

قالوا : بأنك إنْ بقيتَ مُحزّما بـالنّارِ داهـَمكَ السقوطْ ..
فعلام لمْ تَسْبِقَ الحزامَ لهمْ تقاتلُ للخلاصْ ..
قلنا : خُصُورُ الحاكمينَ تخافُ أحزمةَ الرصاصْ ..
قالوا : مِنَ الشعراءِ نبدأُ بالقـَصاصْ ..
قلنا : القصاصُ هو الحياةُ .. علام لا يَنْقصُّ مسمارُ الكراسِيِ .؟
قالوا : هو (الرّمْلُوكُ) إنْ يقعدْ يَجِدْ
مِنْ تحتِه المِسمَارَ قُدّ على القياسِ ..
فيظلّ منْتَمِيا عليه .. وأنت مِنْ مَنفى الى منفى تُقَاسِي ..
لو أنكَ المَنفِيُّ خلفَ حواجزِ الوطنِ السليبْ ..
ــ كنتَ التوحّدَ ذاتَه بالنصرِ في صَمَدِ اللهيبْ ..
كنتَ التوحُّدَ نفسَه بالأرضِ حتى الموتِ ..
والموتُ إذ يُغَنِّي بغيركَ مَا تَغَنَّى .! ــ
لكنك المنفيّ خلفَ رؤوسِنا .. ورؤوسنا منفيّةٌ عنَّا ..
فلا منها نكونُ .. فَهَل تكونُ رؤوسُنا منّا ..؟
الرأسُ حاصرَنا بداخله .. فكيف بخارجِ الضوءِ انحصرنَا !؟

* * *

يا حاصرَ الثوار خلف النصرِ .. مَهْلا !
إنه في ثَوْرَةٍ مسكونة بالنصرِ .. والغدِ .. والغَضَبْ ..
قامت لتقفزَ بالشعوبِ على جدارِ الحصرِ ..
وقفزتِ أنتِ أثورةَ الأحرار ما قفزَ الجدارَ عبيدُ كلِّ القصرِ ..

وعبرتَ انت حواجزَ (الرّملوكِ) إنّ جسومَهم في العصرِ ..
وَرؤوسَهم ستظل خلفَ جدارِ هذا العصْرِ .

★ ★ ★

② استـروقـا : 28 / 8 / 82

هلا تظلّ المرأة امرأة .. وينسحب الرجالْ ..
حملوا همومك انت يا امرأةً وأبقَوْا
همهم فوقَ التشتُّتِ في الرمالْ ..
أبقوا لديك طفولةً حَيرَى
ووجها ساطعَ الأحزانِ .. مَوْجوعَ الجمالِ ..
ثديا أبى إرضاعَ إلا مَنْ اتوا في الطلقِ من صُلْب المحاربْ ..
بطنا بملءِ النار .. يَحملنا على التيارِ ..
نحنُ لثقله الربانُ والقاربْ ..
المرأة امرأة وهذا بعلُها المُلقَى على الغاربْ
فما سُئِلتْ اذا شاءتْ ..
وما سُئِلتْ اذا امتنعتْ ..
ويكفي أنها امرأة اذا هلتْ تحيل الجدبَ جنات .
واطيارا وانهارا .. وريحانا ورَوْحا يَعمُرُ الذاتْ ..
اذا ولت تَصيرُ الشمسُ في آفاقِنَا الأفرانَ ممّا فَتِئتْ ..
تُذيب تكتُّلَ الآمال مِنْ قطع إلى قِطعٍ ..
هلِ التقْطيعُ يُوقفنا عَنِ الإيغالِ في الوَجعِ !؟

★ ★ ★

أيا امرأة لها ظِلّ اذا أوْمى بخنصرهِ على بابي
تقول الدار : « يا سَهْلا .. » أهلا بأحبابي ..

إذا سكنوا بلا وطنٍ فلا مانعْ
وأمنعهم بلا عشقٍ إلى الأوطانِ .. متحدٍ
مَعَ الوجدانِ بالرعشهْ »
أنا المَصْنُوعُ بالدهشَهْ ..
يُشجّرني هوى وطني حروفا تُثبتُ الصانعْ ..
وتنفي الصمتَ في أمّي فلا أمَةً ولا حُرَّهْ ..
ولكن لحمة مُرَّهْ ..
أنأكلُ لحمهَا المُرّارَ .! نأكله ..
ونصرخ : « مُرةٌ ! » ونظل (نسكتُ) الفَ مرَّهْ . ؟

* * *

③ منـزل تميم : 20 / 6 / 82

فلا تسكتي يا صغارَ العصافيرِ مرّهْ !
فمعنى السكوتِ ـــ قديما ـــ قفارْ ..
ومعنى السكوتِ ـــ حديثا ـــ حِصَارْ ..
ألم يكفِنا أنْ يُحاصرَنا بالسكوتِ (من القمة) الحاكمُ الآن فينا !؟
(من الأمة) الباسطُ الآن كفيه .. رجليه !؟
جثمانُه امتدّ .. حتى العصافيرُ جاءتْ تُهدّدُنا بالسكوتْ .!
فان تسكتي يا صغارَ العصافير ، معناه ، في زمنِ الطّلْقِ ، حُبلى تموتُ ..
ومعناه ، في زمن النار ، تحبُلُ بيروتُ ..
منْ كومةِ الحجرِ الأسودِ .. الانهيارِ ..
وانقاضِ كلّ الكراماتِ تُبنى البيوتُ ..
هي الجدران القديمةُ مسكونة بالسقوطْ ..

وتسقط افضلَ .. تسقطُ أجْمَلَ مِنْ أنْ نَراها ..
وقد نسجت في عرائشها العنكبوتْ ..
وما في السقوطِ انتهاءٌ لشعبٍ ..وفيه النهايةُ للجبروتْ ..

* * *

④ تـونس : 20 / 7 / 82

فلا تسكتي يا صغار العصافير حتّى الخَرابْ ..
يُغنّي على كومة الوطن ــ الهَدَمِ حينَ يُهالُ علينا الترابْ ..
فلا تسكتي .. فَنشيجُكِ يُنْبِىءُ أنَّ السماء ستأخذ شكل العذابْ
وهذا نشيجُ اليَمام على مطلع الفجر ينبىءُ بالاقترابْ ..
مِنَ الشمس ــ في مطلع اليوم ــ لا بالسحابْ ..
وهذا صراخُ المقاتِل عندَ مشارفِ بيروتَ ينبىءُ بالانسحابْ ..
ولا وقتَ عندي أضيّعهُ في التنبؤ .. فالانبياءُ ..
يقولونَ : « للظلم صولةُ ساعةْ ... »
وللحقّ عندَ العروبةِ صولاتُ بأسٍ ، ولكنْ بيدُورِ الإذاعةْ .

* * *

⑤ سكـوبيـا : 30 / 8 / 82

اخبِّىء وجهكَ ــ يا وطني الساكنَ الآن مجرى دمي ــ في دمي ؟
وتخرجُ بالرغم عني اذا ما فتحتُ فمي ..
اقول لعينيَ حين تنامُ : بغيره يا عينُ اياك ان تحلمي .
أقولُ لأذني اذا ما أصاخت
لصوت يهلل باسمكَ ــ يا وطني العربيَّ ــ : ألاَ فاسلمي .!
أقول لكفي ــ وكفيَ لو صفقت لسواكَ ــ : قطعتُكِ مِنْ معصمي !
أخبىءُ وجهكَ في الامس يا وطني ..؟

هو الامسُ قارورةُ البنج فيكَ وفي بدني..

أخبىء وجهك في الحال يا وطني ..

هي الحال مسكونةٌ بغرانيق طاحونةِ الإنتِظارْ ..

أخبىء وجهك في ما سيأتي أيا وطني ..

وكلّ الذي لم يجئنا .. سيأتي ليصنعنَا دون أيّ خِيَارْ ..

هَلِ الشعبُ يصفعُ مَن حاكموه .؟

وفي الليل يقسم أن لا فرارْ .. ولكن إذا ما أتاه النهارْ ..

يلملمُ أتعابهُ في قطارٍ يسيرُ بعكسِ المسارْ ..

وما بينَ هذا وذاك يقوم قرار فَيَمحُو القَرارْ ؟

بشدٍّ نياطِ التلاحُم ما بينَ جارٍ وجارْ ..

وتشتد ما بين سلطانِنا والعدو منافعُ أخرى ..

(تُؤمركنا) دونَ عِلمٍ لئلا نقولَ لها غيرَ « أمرُكِ سيدتي .!»

فتُجيبُ وقد سخرتْ منكِ يا امتي :

« وللمرة (السادسَةْ) .!

اقول لكم : لستُ سيدةً بل أنا آنِسَةْ .! »

أتسخرُ منا ؟ أتسخر آنستي أمريكا .؟

لأنا تفصّلنا الربفيكا ..

على قَيَسِهَا .. ثم تلبسنا ..

ثم تطرحُنا فوقَ قارعةَ الامتعاضْ ..

وننقضّ .. لكن على بعضنَا البعضُ .. باسم المخاضْ ..

ونحنُ التخلفُ ! إنْ لم نعاصرهُ بالانقضاضِ وبالانقضاضْ ..

فإنا – كماندعي – سنظل رسولا .. ولكن بلا معجزات !
فأنت تلفقني إذْ ألفقُ فيكَ التلاقحَ بالأزماتْ ..
عجيب! كلانا يلفق للاخر التهمَ الشائعاتْ !

* * *

⑥ تـونس : 10 / 9 / 82

أفي (رَدِكَالِيَّةٍ) الارض بِتْنَا .. نَدُورْ !؟
فلا خطوة للتعاطف ما بينَ ليل ونور..
هو الشوكُ نجلُ الورودِ الورودُ اخياّتُ كُلِّ الزّهورْ ..
علام الزهورُ التي نحنُ منها ذوتْ قبلَ نضجِ البذورْ .
وهذي الحُصيَّاتُ بِنتُ الصخور وأمّ الصخور الجبالْ ..
فلسنا فتاتَ موائدَ .. لكن
تَفَتَّتُنا قد أحال الجبالَ صخور .. أحالَ الصخورَ رمالا ..
وهبتْ على الرمل سافيةُ الريح تملأُ منا السّلالا
فلا .. لا .! ولا .. لا .! ولا .. لا ..!
غدا نحنُ نملأُ يا ارضُ كلّ سلالكِ بالزهر
بالياسمينِ ..وبالفلّ والبرتقالْ ..
وتبقَينَ يا امرأةَ الكُلِّ في الفلّ نائمةً
وقتَها انسحبتْ منك بعضُ الرجــالْ ..
وتستيقظينَ – يعودُ الرّجالُ – كأنكِ مَا نِمت بعضَ دقيقةْ .!
وهل نمتِ حقّا ؟
وأنتِ فلسطينُ حقا .! فكيفَ تَنامُ الحقيقةْ !؟

الصـادق شـرف

النادرة في الحجاز في العصر الأموي
محاولة تصنيف وتحليل (١)

بقلم : البشير المجدوب

(4)

لقد أتيح لفن النادرة بالحجاز حظ كبير من الازدهار فبلغ مستوى عاليا من الرقي والنضج بفضل ما أشرنا اليه من عوامل حضارية سياسية مؤاتية . وقد تجلى هذا الرقي في ثراء النادرة ومدى انتشارها اذ هي لمست كثيرا من مجالات الحياة ، فتعددت موضوعاتها ، فمن نادرة غرضها الهزل الصرف أو مجرد التعبير عن خاصة النفس والترويح عنها ، الى نادرة اخلاقية اجتماعية تشهر بما هنالك من عيوب وعاهات ، الى نادرة « سياسية » (2) فيها تحد

(1) اعتمدنا في تصنيف النادرة الحجازية ما جاء في كتاب « الفكاهة في الادب » للدكتور أحمد محمد الحوفي (القاهرة) 1966 ، مع شيء من التصرف بالحذف والزيادة وبعض التعديل للترتيب الوارد في الكتاب .

(2) لدينا عينات ، وإن قليلة ، من هذا اللون الذى يمكن أن ننعته بالنادرة السياسية ؛ منها نكتة تنسب لسكينة بنت الحسين أقرب الى العبث والمزاح تسخر فيها من الشام (وكان يعاب بكثرة البراغيث) وأهله ، تعريضا ، من وراء ذلك ، بالأسرة الحاكمة . جاء في الاغاني : « ... قال : وبعثت سكينة الى صاحب الشرطة ، أنه دخل علينا شامي فابعث الينا بالشرط . فركب معه ، فلما أتى الى الباب أمرت ففتح له ، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت اليه برغوثا . قالت : هذا الشامي الذى شكوناه . فانصرفوا يضحكون » م 16 ، ص 95 ، دار الثقافة بيروت . الجدير بالملاحظة أن سكينة لم ينحصر موقفها من السلطة في هذا اللهو « البريء » .. في هذا الضرب الخفيف من العاكسة والتندر ، وإنما كانت

للسلطة وإزراء بها وإن غير مباشر ولا هادف أحيانا ، الى نادرة مجونية ، سواء كان المجون رفضا للقيم الاخلاقية وتمردا عليها ، أو مسا بحرمة الدين وعبثا بقداسته ، الى نادرة « أدبية » هى شكل جديد طريف من النقد عبر فيه أصحابه عن انطباعاتهم حول ما يسمعون من شعر فى شكل نكت لطيفة جمعت بين صدق الحاسة الفنية وبين البلاغة والظرف (3) .

تمارس نوعا من الشغب العلنى والمعارضة « السياسية » الخطرة إذ تتعرض لمثلى السلطة بالشتم انتقاما لجدها . « كانت سكينة تجىء يوم الجمعة فتقوم بازاء ابن مطير وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ، اذا صعد المنبر ، فاذا شتم عليا شتمته هى وجواريها ، فكان يأمر الحرس يضربون جواريها » الاغانى م 16 ، ص 93 ــ 94 .

أما ما جاء على لسان ابن أبى عتيق من هذا اللون « السياسى » ، فهو أشد ما تكون لذعا وإقذاعا ، وهو من أمتع الفكاهة وأبلغها ، على ما فيه من إفحاش ومجون . وقد جاءت هذه النادرة فى تعليق له على شعر لعمر بن أبى ربيعة قد نوه فيه بخصال امرأة سعت بالصلح بينه وبين احدى حبيباته ، ، مشيدا على الخصوص بكياستها ولباقة تصرفها . فعقب ابن أبى عتيق ، يمازح الشاعر ، مبرزا مبالغته فى وصف هذه المرأة : «الناس يطلبون خليفة فى صفة قوادتك هذه يدبر أمورهم ، فما يجدونه!» الاغانى م 1 ، ص 137 ــ 138 .

ثمة لون ثالث من النادرة السياسية لا ينطلق صاحبه فيه من موقف سياسى مذهبى ، وإنما يعبر ما جاء فيه من عبث بالسلطة وتحد لها عن ضيق بالرقابة الاخلاقية الدينية وعن رغبة جامحة فى التحرر من القيود الاجتماعية التى تعوق حياة الافراد ولا سيما أهل الفن . ولنا فى المغنى الدلال خير ممثل لهذا الضرب من النكتة التى تستمد بعضا من فاعليتها وشدة وقعها وظرفها مما فيها من مجون .. المجون بمفهومه الاخلاقى ومفهومه الدينى . الاغانى م 4 ، ص 278 ، 281 ــ 285 ، 287 ــ 288 .

(3) لقد برع ابن أبى عتيق فى صياغة النادرة « الادبية » ، وكان كثيرا ما يعبر عن انطباعاته وأحكامه النقدية فى شكل نكت تتردد بين السخرية اللاذعة أحيانا وبين العبث والمزاج ؛ من ذلك ما يرويه صاحب «الاغانى» : « ... ومنها :

صـــوت

تقدمت بى الشبهاء نحو ابن جعفر ... سواء عليها ليلها ونهارها

وقد تجلى هذا الرقي والنضج ـ على المستوى الفني ـ فى أصالتهـا ، وفى تعدد أصنافها وتنوعها تبعا لاختلاف طرق التعبير ، وفيما تنطوى عليه هـذه الطرق من تفنن وبراعة وطاقة تعبيرية وقوة إيحاء .

وليس من المجازفة فى شيء اذا قلنا إننا نجد معظم أصناف النادرة المعروفة عندنا اليوم وأهمها ممثلة فيما بين أيدينا من أدب هذا العصر ، انطلاقـا من البسيط الخفيف ، القريب المأخذ ، السهل المتناول حتى لكأنه « درجة الصفر » فى الفكاهة ، ونعنى بها الفكاهة الخام ، تلك الفكاهة الغفل التى تجهل ذاتها ، شأن نوادر الحمقى والمغفلين (إذ ينعدم لدى أبطالها أهم شروط الفن من وعي وقصد الى الامتاع ، وحرص على الاجادة والاتقان ، وإنما يتمثل الفن فى براعة السرد عند الراوية وقدرته على التصوير) ، الى فن وسط فى تركيبه وثـراء مضمونه ، وحظه من مستويات التعبير وأبعاده ، ومثاله النوادر القـائمة على التناقض ، ما كان منه غير متعمد ومـا كان منـه مقصـودا ، وعلى التغـافل والتحامق،الى الغريب المعقد الذى ألف بين دقة التركيب وإحكام العبارة ولطف الصنعة وعمق الدلالة مع سلامة الطبع ورونقه وبهائه ، ومثله النـوادر التى تعتمد التصوير الهـزلى (أو المسخـى) caricature ، وأسلـوب القلب والعكس ، وما يتفرع منه من محاكاة هزلية Parodie ومفارقة Paradoxe أو تقوم على حسن التخلص والرد بالمثل ، وشتى صنـوف اللعب بالمعـانى من كناية وتورية وتعريض وإجابة بغير المطلوب (أسلوب الحكيم) ؛ وهذه الدرجة من الفن تقتضى أقصى ما بوسع المندر من تجمع الملكات وتركيزها وتضافرها تحفزا لرد الفعل الانسب كأنه السهم أو الشرارة شدة وقع ورشاقة ونفاذا... حال هى الذروة من حيث يقظة الذهن وشحذ الحاسة الفنية وتـوثب الخيـال واستجابة البديهة ، وهى فى منتهى جيشانها وطلاقتها ونشاطها .

... وهذا البيت مما عيب على ابن قيس (الرقيـات) ... قـال ابن أبـى عتيق لعبيد الله بن قيس (الرقيات) وقد مر به فسلـم عليه ، فقـال : والسلام عليك **يا فـارس العميـاء** ؛ فقال له : ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد بأبى أنت ؟ ! قال : أنت سميت نفسك حيث تقول : (سواء عليها ليلها ونهارها) فما يستوى الليل والنهار الا على عمياء ؛ قال : إنما عنيت التعب ؛ قال : فبيتك هذا يحتـاج الى ترجمـان يتـرجم عنـه » الاغانى م 5 ، ص 79 .

الغفلة والحماقة :

أدنى درجات الغفلة ذهول عن الواقع عارض عابر وعدم انسجام وتكيف معه لحين ينشأ منه نشاز مضحك بين تصرف الغافل وما يقتضيه الواقع والمنطق من سلوك .

وهى فى شكلها المزمن ضرب من الغباء والحماقة أو « البلادة والجهل بصواب الاحكام وسلامة التعبير » .

ويتمثل عنصر الفكاهة أساسا فى هذا التناقض المركب بين واقع المغفل وواقع الناس من جهة ، وبين نظرته الى نفسه ونظرة الناس اليه « فجهل ذى الغفلة بغفلته والاحمق بحماقته هو الذى يضاعف ضحك الناس منه لانهم يعرفون ما به ولا يعرف هو ما بنفسه » فينضاف الى نشاز سلوكه وشذوذه عن واقع الناس عامل الغرابة والعجب والاستطراف إزاء غفلته عن حقيقة حاله.

ويشتد عامل الغرابة والاستظراف اذ نراه حسن الظن بنفسه ، واثقا بصواب تصرفاته ، معتدا بلياقة سلوكه وحكمته ، فهو فى واد والناس فى واد ، وكأنه بل هو فعلا فى عالم آخر غير عالم الناس ، عالم تعطل فيه المنطق وبطلت أوكادتأن تبطل قوانينه ومكاسبه ، وتميعت فيه صرامة العقل ودقته ، وغلب الحس والخيال . وهنا وجه الغرابة والعجب ، فالاحمق « يستخدم طاقية الاستخفاء بطريقة معكوسة ، فاذا هو يحتجب عن نفسه ، ويبين لكافة الناس » (4) .

وذاك مما يفسح مجال الضحك والفكاهة الى غير حد لانتفاء الموانع والعراقيل ، أخلاقية كانت أو عاطفية ، ولفقدان أو ضعف ردود الفعل من قبل الاحمق التى من شأنها أن تمنع أو تجمد تيار الفكاهة . وكيف لا نضحك ملء صدورنا ممن يحسب نفسه شخصا سليما مستقيم الحال كأحسن ما يكون السوى من الناس بل قد يرى نفسه فى نعمة يغبط عليها ، وهو مختل التفكير مشوش التصرف والسلوك ؟!

ولعلنا نجد فى هذه النادرة صورة لهذه النفسية الغريبة نفسية الاحمق الراسخ فى حماقته الحسن الظن بنفسه المتشبث برأيه المعتد بمواقفه ؛ والجدير

---

(4) الضحك لبرقسون ، ص 22 .

بالملاحظة ، وهو وجه الطرافة في هذا الخبر ، ان البطل ليس شخصا بمفرده انما هو جماعة تنتمي الى عشيرة عرفت بالصلاح والبله الشديد ، فكانوا لذلك مثالا للدين الذي لا عقل له ، على أن الجماعة لا تخلو ، مع ذلك ، من بعض الفطنة والتمييز .

« حكي أن امرأة أبي رافع رأته في نومها بعد موته ، فقال لها : أتعرفين فلانا الصيرفي ؟ قالت له : نعم ، قال فان لي عليه مائتي دينار . فلما انتبهت غدت الى الصيرفي فاخبرته ، وسألته عن المائتي دينار ؟ فقال : رحم الله أبا رافع ، والله ما جرت بيني وبينه معاملة قط ! فاقبلت الى مسجد المدينة فوجدت مشائخ من آل أبي رافع كلهم مقبول القول ، جائز الشهادة ، فقصت عليهم الرؤيا ، وأخبرتهم خبرها مع الصيرفي ، وإنكاره لما ادعاه أبو رافع . قالوا : **ما كان أبو رافع ليكذب في نوم ولا يقظة !** قربي صاحبك الى السلطان ، ونحن نشهد لك عليه .

فلما علم الصيرفي عزم القوم على الشهادة لها ، وعلم أنهم إن شهدوا عليه لم يبرح حتى يؤديها ، قال لهم : إن رأيتم أن تصلحوا بيني وبين هذه المرأة على ما ترونه فافعلوا ، قالوا : نعم ، والصلح خير ، ونعم الصلح الشطر ، فأد اليها مائة دينار من المائتين ، فقال : أفعل ، ولكن اكتبوا بيني وبينها كتابا يكون وثيقة . قالوا : وكيف تكون هذه الوثيقة ؟ قال : تكتبون لي عليها أنها قبضت مني مائة دينار صلحا عن المائتي دينار التي ادعاها أبو رافع في نومها ، وأنها قد أبرأتني منها . وشرطت على نفسها ألا ترى أبا رافع في نومها مرة أخرى ، فيدعى علي بغير هذه المائتي دينار ، فتجيء بفلان وفلان يشهدان علي لها . فلما سمعوا الوثيقة انتبه القوم لانفسهم ، وقالوا : قبحك الله ، وقبح ما جئت به » (5) .

وهذا أحمق مغرور يتمثل سخفه في كونه يبالغ في تقدير شأنه أيما مبالغة ، وينسب لنفسه ما ليس لها من الفضل ، متطفلا على الادب ، والادب منه براء .

« وذكر أن هاشميا قال لعمر بن أبي ربيعة : لولا بغضكم لنا يابني مخزوم ما قلت :

---

(5) قصص العرب ، ج 4 ، ص 404 — 405 ، ط 2 ، القاهرة (1948) .

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل   أبوها وإما عبد شمس وهاشم

فقدمت علينا بني نوفل وبني أمية ؛ فتوهمه ابن أبى ربيعة عاقلا ، فقال : لا بأس بتقديم المفضول على الفاضل فى اللفظ . قال حسان بن ثابت :

وما زال فى السادات من آل هاشم   مكارم صدق لا تعد ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه   علي ومنهم أحمد المتخير

وأيضا فالشعر على الميم ، فلم يكن فى القافية الا ما قلت لك . قال : فاعجزتك الحيلة ؟ قال : وكيف أحتال ؟ قال : تقول :

بعيدة مهوى القرط إما لهاشم   أبوها وإما عبد شمس ونوفل ميم

فضحك وقال : وهنا لقد عجزت عن هذا » (6) .

الهفوة اللسانية : Lapsus linguae

ولنا منها ، على قلتها ، عينات طريفة مستملحة تتنزل فى الصميم من هذا النوع الذى تتمثل طرافته فى الكشف عن دفين المشاعر ومكتتم الاحوال وخبايا النفوس كشفا فجائيا .. فضحا بالغا قاسيا يزيد النادرة لذاذة ويضاعف وقعها وحظ الفكاهة فيها .

ومثالها ما رواه ابن قتيبة : « ... كان خالد بن عبد الله من الجبناء ، خرج عليه المغيرة بن سعيد ، فذعر خالد وقال : **أطعمونى ماء !** » (7) .

« ... خطب عبيد الله بن زياد ، فقال ، من جبنه ودهشته وفزعه : **افتحوا سيوفكم** ، ولذلك قال فيه ابن مفرغ :

ويوم فتحت سيفك من بعيد   أضعت ، وكل أمرك للضياع » (8)

---

(6) ذيل زهر الآداب ، ص 313 ، القاهرة 1953 .
(7) عيون الاخبار ، ج 1 ، ص 165 .
(8) نفس المصدر .

ومن ذلك ما جاء فى نهاية الارب : « **دخل ابن خلف الهمداني على رجل يعزيه ، فقال : أعظم الله مصيبتك وأعان أخاك على ما يرد عليه من يأجوج ومأجوج . فضحك الناس . فقال : تضحكون مما قلت ، وإنما أردت هاروت وماروت** » (9) فزاد الطين بلة بأن أضاف الى السهو والغفلة حماقة وجهلا .

التـنـاقـض :

ومن أبسط صوره وأيسرها أن يعقب الموقف نقيضه ، على أن لا تمتد الفجوة بينهما حتى لا تخف حدة التناقض ، ويضعف أو يزول ما بالموقف من غرابة وشذوذ .

ومثال ذلك هذه النادرة التى تصور لنا أشعب يبكى على الصريمية ـ وكانت مغنية مشهورة ـ ويلعنها فى آن معا .

« **اجتازت جنازة الصريمية بأشعب وهو جالس فى قوم من قريش فبكى عليها ، ثم قال : ذهب اليوم الغناء كله ، وعلى أنها الزانية ، لا رحمها الله ، كانت شر خلق الله ، فقيل له : يا أشعب ليس بين بكائك عليها ولعنك إياها فصل يوم فى كلامك . فقال : نعم كنا نجيئها الفاجرة بكبش فيطبخ لنا فى دارها ثم لا تطعمنا الا السلق** » (10)

وأبلغ من ذلك تأثيرا حتى ليكتسى الموقف أحيانا طابعا دراميا ملحوظا ، وأحفل أيضا بالفكاهة الطفها وأطرفها أن يكون الشخص موزعا بين عاملين متناقضين يتجاذبانه ، وهو يحاول أن يخفى حقيقة حاله ، أو هو فى غفلة عنها غير واع بها وعيا واضحا بصيرا . وبطلنا فى هذا الخبر جبان متشاجع .. جبان يأبى الا أن ينكر واقعه الصريح المكشوف يرفضه رفضا فيسعى جهده لان يظهر على خلاف حقيقته ، ولب الفكاهة وجوهرها فى إصرار أبى حية النميرى على ادعاء الشجاعة ولجاجته فى ذلك حتى عند افتضاح أمره ، وانسياقه مع وهمه وخياله يبنى لنفسه عالما برمته يجعله كالغشاوة على واقعه المشهود وحقيقته الساطعة Mythomanie .

---

(9) نهاية الارب ، ج 4 ، ص 17 .
(10) الاغانى ، م 19 ، ص 101 ، دار الثقافة بيروت .

« كان لأبى حية النميرى سيف ليس بينه وبين الخشب فرق ، كان يسميه « لعاب المنية » فحكى عنه بعض جيرانه قال : أشرفت عليه ليلة وقد انتضاه ، وهو واقف بباب بيت فى داره وقد سمع فيه حسا ، وهو يقول : أيها المغتر بنا المجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ؛ خير قليل ، وسيف صقيل « لعاب المنية » الذى سمعت به ، مشهورة صولته ، لا تخاف نبوته ، اخرج بالعفو عنكلا أدخل العقوبة عليك ؛ إنى والله إن أدع قيسا تملأ الفضاء عليك خيلا ورجلا ، سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ! والله ما أنت ببعيد من تابعها ، والرسوبفى تيار لجتها . وهبت ريح ففتحت الباب ، فخرج كلب ، فاربد وجهه ، وشغر برجليه ، وتبادرت اليه نساء الحي فقلن : يا أبا حية ، ليفرخ روعك إنما هو كلب . فجلس وهو يقول : الحمد لله الذى مسخك كلبا ، وكفانى حربا » (11) .

ومن أظرف المواقف القائمة على التناقض خطأ الظن والفهم Quiproquo وسوء التفاهم الناشىء من التباس شخص بشخص أو شىء بشىء ؛ ومثل هذا الموقف قليل فى أدبنا بالنظر الى الادب الغربى ، وخاصة المسرح بشقيه المأساة والملهاة حيث يكتسى هذا الموقف أهمية كبيرة لكونه من أخصب موارد الضحك والفكاهة ولما يوفره من شحنة درامية .

« قدم مخنث من مكة يقال له مخة ، فجاء الى الدلال فقال : يا أبا يزيد ، دلنى على بعض مخنثى أهل المدينة أكايده وأمازحه ثم أجاذبه؛ قال: قد وجدته لك . وكان خثيم بن عراك بن مالك صاحب شرطة زيادة بن عبد الله الحارثى جاره ، وقد خرج فى ذلك الوقت ليصلى فى المسجد ـ فأومأ الى خثيم فقال : الحقه فى المسجد فانه يقوم فيه فيصلى ليرائي الناس ، فانك ستظفر بما تريد منه . فجلس فى المسجد وجلس الى جنب ابن عراك ، فقال : عجلي بصلاتك لا صلى الله عليك ! فقال خثيم : سبحان الله ! فقال المخنث : سبحت فى جامعة (12) قراصة ! انصرفى حتى أتحدث معك . فانصرف خثيم من صلاته ، ودعا بالشرط والسياط فقال : خذوه . فأخذه فضربه مائة وحبسه » (13) .

ومن طريف التناقض « أن يتكلم الشخص كلاما يريد به الاصلاح ، ويغفل عما فيه من إفساد ، أو يقصد الافساد فى صورة الاصلاح » .

(11) قصص العرب ، ج 4 ، ص 409 .
(12) الجامعة : القيد ، الغل لانها تجمع اليدين الى العنق .
(13) الاغانى ، م 4 ، ص 282 ـ 283 .

ومن ذلك أنه « **حدث بين الاعمش وامرأته جفوة ، فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما، فدخل الرجل اليها، وقال لها : إن أبا محمد شيخ كبير ، فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ، ودقة ساقيه ، وضعف ركبتيه ، ونتن إبطيه ، وبخر فمه ، وجمود كفيه ، فقال له الاعمش : قـم قبحك الله ، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه** » (14) .

ومن « التناقض المضحك أن يكون الشخص في حالة تقتضي تصرفا معينا معلوما فاذا به يفعل أو يقول نقيض ما كان يجب أن يفعل أو يقـول » ؛ وعلى قدر التناقض والنشاز بين موقف الشخص ومقتضى الظرف والحـال تكـون الفكاهة وحظ هذا الشذوذ من الطرافة والغرابة والاستظراف كأن يهزل المندر ويعبث في موقف أدعى ما يكون الى الهيبة والوقار .

ولعل جوهر الفكاهة في الخبر التالي ونكهتها تتمثل في براعة المغني الدلال في القيام بدور المتغافل المتغابي يهزل ويعبث ساخرا أشد ما تكون السخرية والعبث مسا بهيبة الوالي وبحرمة الدين وقداسته تحت قناع الجـد والبـراءة وحسن النية ، كما تتمثل الفكاهة في لباقة احتجاجه القائم على المغالطة والتمـويه .

« **صلى الدلال يوما خلف الامام بمكة ، فقرأ : (ومـالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون) . فقال الـدلال : لا أدري والله ! فضحك أكثـر النـاس وقطعوا الصلاة . فلما قضى الوالي صلاته دعا به وقال له : ويلك ! ألا تـدع هذا المجون والسفه !؟ فقال له : قد كان عندي أنك تعبد الله ، فلما سمعتك تستفهم ظننت أنك قد تشككت في ربك فثبتك . فقال له أنا أشك في ربـي وأنت تثبتني ؟ اذهب لعنك الله ! ولا تعاوده فأبلغ والله في عقوبتك** » (15) .

التغـافـل والتحـامـق :

وهذا فن من الفكاهة يقتضي صاحبه قدرة فائقة على « التمثيـل » بما فيه من صنوف الابهام والخداع والمحاكاة فضلا عن سرعة الخاطر وقـوة البـديهة وحسن البيان . وسر الفكاهة هنا يكمن في ازدواجية المـوقف ، في اجتمـاع الضدين الجد والهزل .

---

(14) المستطرف ، ج 2 ، ص 216 .
(15) الاغاني ، م 4 ، ص 278 ــ 279 .

وتتمثل براعة المندر ـ بصفة خاصة ـ في أن يتقمص شخص الغـافل أو الاحمق ويتصرف ويتكلم وفقه دون أن يتفطن الى حيلته أو يتحقق منها فيبقى مخاطبه مترددا متوقفا بين النفـي والايجـاب لفـرط تلبسـه (أي المنـدر) بالشخصية الموهومة وقدرته على محاكاتها . وهكذا يظن به الغفلة أو الحمـق والغباء وهو أشد ما يكون يقظة وانتباها وتوقد ذهن ، ويحمل تصرفه محمل الجد وهو عين الهزل والمزاح ، سخرية من مخاطبيه ومن كل ما في الدنيا من حمقى ومغفلين ، وسخرية من نفسه أيضا ومن كل شيء . ذلك أن الضحـك عند المندر حاجة أكيدة ملحة .. لازمة قاهرة .. طبيعة ثانية تلون وجوده كله ، وتهيمن على نظرته الى الحياة ، وتملي عليه تصرفاته حتى يكاد يصبـح عنـده ـ فضلا عن كونه أداة عيش ـ بمثابة معنى الحياة ومبررها .

جاء في الاغاني : « أوقفت عائشة بنت عثمان أشعب في البزازين ، فقـالت له بعد حول : أتوجهت بشيء ؟ قال : نعم ، تعلمت نصف العمل وبقي نصفه ، قالت : وما تعلمت ؟ قال : تعلمت النشر وبقي الطي » (16) .

وجاء أيضا :« ... سمعت أشعب يقول : ما زفت بالمدينة امـرأة قط الى زوجها إلا كنست بيتي ورفعت ستري طمعا في أن تهدى إلي » (17) .

ومما يروى في هذا الباب ، قال أشعب : جاءتني جارية بدينـار وقالت : هذا وديعة عندك . فجعلته تحت الفراش ، فجاءت بعد أيام تنظر الدينـار ، فقلت : ارفعي الفراش ، وخذي ولده ـ وكنت تـركت الى جـانبه درهما ـ فتركت الدينار وأخذت الدرهم ، وعادت بعد أيام ، فوجدت معه درهما آخر ، فأخذته ، وعادت في الثالثة كذلك . فلما جاءت الرابعة تباكيت . فقالت : ما يبكيك ؟ قلت : مات الدينار في النفاس . فقالت : وكيـف يكـون للدينـار نفاس ؟ فقلت : يا حمقاء ، تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس ! » (18) .

ومن صور التحامق ما تخفى حقيقته فيلتبس بالغفلة والحماقة حتى كأنه في الصميم منها ؛ ولولا علمنا بشخصية صاحبها ويقيننا من أنه أبعد الناس عن الحماقة أوسمناه بها ، وما ذاك الا لبـراعته العظيمـة في الايهـام والمخـادعة

(16) نفس المصدر ، م 19 ، ص 76 .
(17) نفس المصدر ، م 19 ، ص 72 .
(18) فوات الوفيات ، ج 1 ، ص 22 .

وإتقانه لفن التشخيص حين يعمد للقيام بدور المتغافل المتغابى . وكأنى بسعد الرابية وهو بطل الخبر التالى ينظر الى الواقع نظرة تجريدية صرفا إذ هو يتصرف فيه هازلا يحاول تأليف ما لا يتفق ويروم تسويغ المحال كما لو كان إزاء لعبة يعبث بقطعها يضاد بينها مخالفا قاعدة اللعب فاذا بالضحك رياضة ذهنية محض ، ضرب من اللعب العقلى الخالص غايته فى ذاته ، فى إثبات حرية المندر وإرادته التعسفية التى ترفض القيد والحد .

« **اختصم الى زياد بنو راسب وبنو الطفاوة في غلام ادعوه ، وأقاموا جميعا البينة عند زياد ، فأشكل عليه الامر فقال سعد الرابية : « أصلح الله الامير ، قد تبين إلي فى هذا الغلام القضاء ، ولقد شهدت البينة لبني راسب ولبني الطفاوة ، فولنى الحكم بينهما . قال زياد : وما عندك فى ذلك ؟ قال : أرى أن يلقى الغلام فى النهر ، فان رسب فهو لبني راسب ، وإن طفا فهو لبني الطفاوة . فأخذ زياد نعليه وقام ، وقد غلبه الضحك . ثم أرسل اليه : إنى أنهاك عن المزاح فى مجلسى . قال : أصلح الله الامير ، حضرنى أمر خفت أن أنساه . فضحك زياد وقال : لا تعودن** » (19) .

التصوير الهزلى ـ أو المسخى :

التصوير الهزلى وصف ساخر ينحو منحى المبالغة يعمد فيه صاحبه الى إبراز نقص أو عيب ما وتأكيده على سبيل الدعابة والمزاح أو التهكم الخفيف .

جاء فى كتاب الاغانى : « قال المدائنى : وقال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم اذهب عني الحرص والطلب الى الناس . فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطنى أحد شيئا ، فجئت الى أمي فقالت : مالك قد جئت خائبا ؟ فأخبرتها . فقالت : لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك ، فرجعت فقلت : يا رب أقلني ، ثم رجعت ، فلم أمرر بمجلس لقريش وغيرهم الا أعطونى ووهب لى غلام ، فجئت الى أمي بحمار موقر من كل شيء ، فقالت : ما هذا الغلام ؟ فخفت أن أخبرها بالقصة فتموت فرحا . فقلت : وهبوا لى ، قالت : أى شيء ؟ قلت : غين . قالت : أى شيء غين ؟ قلت : لام . قالت

(19) العقد الفريد ، ج 3 ، ص 329 . نجد صورة من هذا اللعب بالواقع والتصرف فيه تصرفا حرا عابثا دون تورع ولا مبالاة فى خبر مخة المخنث والدلال وضابط الشرطة ، وقد سبق ذكره . انظر الهامش 13 .

وأي شيء لأم ؟ قلت : ألف . قالت : وأي شيء ألف ؟ قلت : ميم . قالت : وأي شيء ميم ؟ قلت : غلام . فغشي عليها ، ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحا » (20) .

وقد يمعن « المصور الهزلي » في تحريف الموضوع ترجيحا لجوانب النقص وتركيزا عليها ، إيهاما بأنها الاصل لا شيء معه مما قد يختلف عنه أو يباينه ، أو زيادة مفتعلة فيها نسجا على منوالها أو قلبا للمحاسن وعكسا للمزايا حتى يجعلها بمثابة سمة الشخص وخصوصيته البارزة تجمل شخصيته المختلقة اختلافا وتكاد تلخصها ، واذا بالنسخة تنافس الاصل تفرض نفسها عليه تريد بل تكاد أن تحل محله إنكارا لحقيقته حتى تنعكس الآية ، فاذا الاصل مدفوع متضائل ، واذا الوهم ماثل قائم يثبت وجوده في جرأة واستعلاء ووقاحة . وأولى بهذا اللون من التصوير أن يدعى تصويرا مسخيا لما ينطوي عليه من حدة السخرية وقسوتها الشبيهة أحيانا بالهجاء عنفا وإقذاعا .

لقد يدفع شيطان الضحك المندر الى التعابث بأصدق أنصاره ، والمعجبين به ومن أشرفهم منزلة أو نسبا ، فيعمد متخابثا الى قلب الاحسان إساءة ، والمزية عيبا ، راسما صورة مسخية لشخص من أحسن اليه ، يفعل ذلك متغافلا متجاهلا شأن الحاقد المتشفي المتلذذ بالعدوان وليس بذاك ؛ وإنما هو الضحك وسلطانه والتندر وحكمه يستخف بالعواطف اذا ما اعترضت طريقه ويتجاوز القيم ، ويأبى الا التعبير عن ذاته وإثبات وجوده ومشيئته ، وإنما هو حب المعاكسة والتعلق بأدنى سبب من أسباب الفكاهة والسخرية تشتق من كل شيء ، وتستمد حتى من معدن الخير والفضيلة في عدم مبالاة ولا مسؤولية .

وأطرف ما في الخبر سعي أشعب الحثيث – بين ملأ من الناس – الى شكر محسنه والتنويه بنعمته في جد وصدق وإخلاص – في ظاهر الامر – وهو في الآن نفسه يحرف هذا الاحسان تحريفا ، ويجعل منه معرة وعيبا ملطخا سمعة رجل شريف أبرأ ما يكون مما ألصق به من تهمة .

---

(20) الاغاني ، م 19 ، ص 77 . من أحسن ما يستشهد به في باب التصوير الهزلي خبران قد سبق ذكرهما في هذا البحث : « طمع أعرابي » و « جنازة بنت الحسين » .

« جاء أشعب الى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير فشكا اليه ، فأمر بصاع من تمر ، وكانت حال أشعب رثة فقال له أبو بكر بن يحيى : ويحك يا أشعب،مثلك في سنك وشهرتك تجيء في مثل هذه الحال فتضع نفسك فتعطى مثل هذا ؟ اذهب فادخل الحمام فاخضب لحيتك . قال أشعب : ففعلت ثم جئته ، فالبسني ثياب صوف له جيدة ، ثم قال : اذهب الآن فاطلب . قال : فذهبت الى هشام بن الوليد ... من آل أبي ربيعة ، وكان رجلا شريفا موسرا ، فشكا اليه فأمر له بعشرين دينارا . فقبضها اشعب وخرج الى المسجد ، وطفق كلما جلس في حلقة يقول : أبو بكر بن يحيى ـ جزاه الله عني خيرا ـ أعرف الناس بمسألة فعل بي وفعل . فيقص قصته ، فبلغ ذلك أبا بكر فقال : يا عدو نفسه فضحتني في الناس ، أفكان هذا جزائي » (21) .

وأخص ما تمتاز به النادرة « المسخية » القصيرة دون سائر الالوان شدة الوقع في النفس ودوام الاثر والاشعاع كأنها الرسم خط طرفة العين بلمسات معدودة فاذا هو ينتقش في مخيلة المضحوك عليه كالوهم يستبد بذهنه هوسا مفترسا لا يريم ، لا يزال يخز شعوره .. صورة دامغة فاضحة حتى كأن الشخص قد جرد في ملأ من الناس من ثيابه .

ولئن كان للنادرة « المسخية » مثل هذا التأثير البالغ الحاد فذلك يعود الى ما خصت به ـ ويشاركها في ذلك الشعر البليغ ـ من شدة تركيز وقوة إيحاء تقوم أساسا على اختيار الصورة الانسب والاكثر دلالة ؛ وإن ما قيل حول وقع الشعر الهجائي البليغ (22) وما له من « قوة ضاربة » عجيبة تزعزع كيان المهجو وتضع عليه وسما لا يفارقه مدى الحياة لهو ينطبق تماما على هذا الضرب من النادرة . وقد نجد مثل هذه الخصائص في النماذج التالية :

« تمنى ابن أبي عتيق أن يهدى له حمل يتخذ منه طعاما ، فسمعته جارة له وهو يحدث امرأته بذلك ، فظنت أنه قد أمر أن يشترى له حمل ، فانتظرت الى وقت الطعام ، ثم جاءت فدقت الباب ، وقالت : شممت ريح قدوركم ،

---

(21) نفس المصدر ، م 19 ، ص 82 .

(22) لقد عبر الجاحظ عن هذه الخاصية أبلغ تعبير اذ قال يخص بعضا من شعر الهجاء : « فما الميسم في جلد البعير بأعلق من بعض الشعر ... » الحيوان ، ج 1 ، ص 363 .

فجئت لتطعموني . فقال ابن أبي عتيق لزوجته : جيران يشمون ريح الاماني » (23) .

واتفق أن أشاد عمر بن أبي ربيعة بفضل امرأة عاقلة توسطت بالحسنى بينه وبين حبيبة له ، منوها بخصالها ، فقال ابن أبي عتيق : « الناس يطلبون خليفة في صفة قوادتك هذه يدبر أمورهم ، فما يجدونه ! » (24) .

« ... أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله :

يا خليلي من ملام دعاني وألما الغداة بالاظعان
لا تلوما في آل زينب إن الـ ـقلب رهن بآل زينب عان

ـ القصيدة ـ قال : فبلغ ذلك أبا وداعة السهمي ، فأنكره وغضب . وبلغ ذلك ابن أبي عتيق ، وقيل له : إن أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى وقال : لا أقر لابن أبي ربيعة ان يذكر امرأة من بني هصيص في شعره » ؛ فقال ابن أبي عتيق : لا تلوموا أبا وداعة أن ينعظ من سمرقند على أهل عدن ! » (25) .

تهكم الشخص بنفسه :

وهو من أدل الشواهد وأبلغ الدلائل على أصالة الظرف والفكاهة في نفس المندر ، بل لعله أبلغ دليل على تأصل روح الفكاهة فيه إذ يتخذ نفسه موضوعا سائغا للهزل والسخر ، وقد جعل بينه وبينها مسافة تتم بها الازدواجية في موقفه ـ وذاك أول شروط الفن ـ فاذا هو كما لو كان يخاطب شخصا آخر .. صديقا له يعابثه يهزأ منه حينا في رفق هزءا عليه مسحة من الدعابة الخفيفة .

ومثل ذلك نوادر تروى عن أشعب اتحدت روحا وغاية وإن ترددت بين التلميح والتصريح وتفاوت حظها من الذوق والفن ، فمنها اللطيف الرشيق الجيد الرفيع ، ومنها الرخيص السوقي وكلها مضحك طريف لا أثر للبرد أو الفتور فيه ، مما يشهد بصدق الطبع وأصالته عند هذا المندر الفذ .

---

(23) عيون الاخبار ، ج I ، ص 263 .
(24) الاغاني ، م I . انظر الهامش (2) .
(25) نفس المصدر ، م I .

« قال أشعب : نشأت أنا وابن الزناد (وكان من العلماء المرموقين إذ ذاك) فى حجر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة » (26) .

« وقال أشعب : رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل . قالوا : كيف ذلك ؟ قال : رأيتني أحمل بدرة فمن شدة ثقلها علي كنت أسلح فى ثيابى ، ثم صحوت ، فاذا أنا أسلح ولا بدرة » (27) .

فهذا اللون الباسم المرح الذى ينم عن انسجام الشخص مع نفسه ، وتكيفه مع وضعه ومحيطه ، ورضاه بمنزلته بالرغم مما قد يقترن بها من ضعة ومهانة وتبعية .. وجوه من النقص استطاع أن يلين شوكتها ويروض جماحها ويتجاوزها مسيطرا على مركباته ، حاسما لأذاها بفضل النكتة الاصيلة البارعة .. ذلك العلاج السحرى الذى أمكنه ان يصطلح مع نفسه ويتفق وبيئته ، ويقر قرارا فى دوره وشخصيته اللذين اصطنعهما أو على الاصح اشترك الطبع والظروف فى اصطناعهما فاذا هما طبيعة ثانية .

ومن التهكم ـ تهكم المرء بنفسه ـ لون عابس قاتم هو السخرية المرة ، وتتخذ أشكالا مختلفة منها التشاؤم الضاحك ومثاله ما جاء على لسان الشاعر الظريف الدارمى فى حال مرضه ، وقد يئس من الشفاء فواجه مصيره المحتوم فى صرامة وشجاعة ، فى تمام الوعي والتبصر ، مترفعا عن باطل الامانى والاوهام ، مستخفا بها ، مزدريا إياها ، مواجهة الند للند بلا لف ولا دوران .

« أصابت الدارمى قرحة فى صدره ، فدخل اليه بعض أصدقائه يعوده ، فرآه قد نفث من فيه نفثا أخضر ، فقال له : أبشر ، قد اخضرت القرحة وعوفيت . فقال : هيهات ! والله لو نفثت كل زمردة فى الدنيا ما أفلت منها » (28) .

البشير المجدوب
(للبحث صلة)

---

(26) نفس المصدر ، م 19 ، ص 70 .
(27) العقد الفريد ، ج 3 ، ص 329 .
(28) الاغانى ، م 3 ، ص 49 .

أيام في مربض الشيطان

قصة : حباة بن الشيخ

تلاشت آخر معالم الحضارة وغابت عن عينيه . وتمركزت صورة الواقع أمامه كالحة ، مريبة تبعث على التساؤل والدهشة . تأكد أنه قضى عليه بالوحدة والضجر . أهي مؤامرة راح ضحيتها أم مجرد صدفة قضت عليه بنحسها ؟ شعر أنه سيتبول على نفسه من هول المفاجأة .

تقدم نحوه كهل داكن اللون ، غليظ الملامح عظيم الرقبة كرقبة ثور يعلفه أصحابه فى انتظار يوم الذبح .

« أنا ناظر المدرسة .. هل من خدمة يا سيدى ؟ » .

« أظنني عينت هنا للتدريس » .

ضحك صاحب الرقبة المتينة وجسمه تهتز كل قطعة فيه « ليس فى هذه المدرسة .. المكان الذى عينت فيه يبعد عنا بضعة أميال . مدرسة فتحت خصيصا لاولاد المنطقة لتجنبهم المجيء الى القرية . أناس مناضلون حقا ، لقد بنيت المدرسة فى شبه عمل تطوعى . تصور .. الارض تبرع بها أحدهم . سلع البناء تبرع بها آخرون ، ثم قام الباقون بالبناء.وهكذا أنجزوا مدرستهم. مدرسة القرية لم تعد كافية للحشد الوافر من التلاميذ .. » .

« إذن هى فى مكان كل ما يمكن أن يقال فيه : إنه أقل من قرية ؟ » .

ربت على كتفه باسما « لا تسارع بالجزع . ما زلت يافعا ، لن تثنيك الصعاب . سيحملك الى هناك أول من يصادفك . لا تنس ، الهواء نقي والطبيعة بديعة .. » .

الطبيعة .. كأن متاعب عيشى ستتركنى أهتم بها . ساذج هو أم خبيث ؟ رجه صوت الشاب نصف الأبله وهو يوقف الحمار :

ـ وصلنا . عليك بتقديم نفسك الى شيخ الكفر سيتولى هو أمرك . ألا تعرف أحدا هنا ؟

ألقى نحوه بورقة نقدية وهو ينزل من على ظهر الحمـار . اختطـف الآخـر الورقة بحركة متلهفة . ألقى التحية وذهب .

كبداية عهد لا يمكن أن نقول : إنها طيبـة ، لكـن لا مجـال للبكـاء على الاحداث . ستمر الايام شئت لها ذلك أم أبيت . سيدفن الميت رغم اعتراض النفوس المكلومة ، فلنؤجل النواح الى حين . الآن هدنى التعب . فلأذهب الى شيخ الكفر لأرى عن كثب كيف يمكن للحياة أن تسير وسط هذا الخلاء ، على قدميها أم على رأسها .

من الملحد الذى قرر إرسالى الى هذا القفر النائم بين أحضان إبليس !؟ مهما كان فلتحل عليه لعنة الشياطين العشر . لو بقيـت العمـر أدعـو عليه فى صلواتى ما هدأ بالى ..

« إن لم يكن غير ممكن الالتحاق بمدينة ما على الاقل قرية قريبة من مسقط رأسى .. إنما غير ممكن أن .. » .

قاطعه حانقا ووجهه ينتفخ غضبا : « من واجبى على ما يبدو استشارتك قبل تعيينك فى المكان الذى يجب الذهاب اليه . أهذا ما تعنيـه أم ماذا ؟ لا تنس أنك لست مخيرا فى ذلك .. » .

« لكـن .. » .

« ولا كلمة . تقرير مدير المدرسة التى كنت بها لا يترك مجالا لانصافك . لا تفتح باب المشاكل . لن تكون النتيجة فى صالحك . مع السلامة » .

الويل لذاك الكهل المسوس الاعضاء كأنه عامود كهرباء خـرب . لم يفلـح الجبن ، ولا اللبن المختلس من ترميم ما هده المرض .. أنحنى لافكـاره وأغض الطرف عن اختلاساته والا يكون هذا النفى الذى يحبط العزائم .. أيها الخير أأنت أسطورة يحلو للنفوس المعذبة ترديدها ؟ أم ..؟

ــ أهلا بك فى مدينة الاندلس .. هيء نفسك للفـراغ والملـل . التسلية الوحيدة هنا ، المذياع ولعب الورق . أما إن كنت من هواة الطبيعة فالجبـال والوديان كثيرة ..

ــ مدرسة بقسمين أيعقل ذلك !؟ لذا لن نجد من المدرسين إلا أنا وأنت ..

ضحك مازحا : الرجل المتمدن يقول أنت وأنا . يترك نفسه دوما فى الآخر . هذه أصول الآداب الغربية .

ـ أما زلت تذكر المدنية وأنت مطمور فى هذا الخلاء .؟

ـ طبعا ، بل هى فرصة للتعلق بها أكثر ما دام ليس فى حوزتى منالها ، فلأحلم بها على الاقل .

ـ حقا ليس كهذا المكان يفتح شهية الاحلام . لكن أنت ، أأنت من أبناء المنطقة ؟

ـ لا ، جئت من قرية أخرى تابعة لنفس الولاية . قبلت لانه ، ليس فى اليد حيلة . كلها سنة أخرى وأعود الى حيث كنت..الرغيف يلهو بنا كما يشاء،اليك بمعلومات قيمة . شيخ الكفر هنا هو سيد القبيلة . إن أحبك هو أحبك الله ، وان غضب أصبحت كاللاجىء فى أرض غريبة . إنما عدونا الرسمى هو المؤدب صاحب الكتاب . أنا فى نزاع مستمر معه . هو لا يود الاعتراف بالمدرسة ، وأنا لا أود الاعتراف بالكتاب. والاولاد ممزقون مرة أجدهم فى كفى ومرة أخرى ترجح كفته .

ـ لو تنازلت لكسبت المعركة وأرحتنا من عناء كبير .

ـ هناك فى القريه يوم سوق يذهب اليه الجميع للتسوق . بالنسبة لهم يوم عطلة أو عيد . إن أردت الجلوس فى مقهى فهناك مقهى القرية طبعا على بعد أميال لن تفكر قط فى الذهاب اليها إن كنت عاقلا .

أما الناس هنا إما يحرثون الارض أو يشربون الشاى ويلعبون الخربقة ..

ـ يا للاخبار التى تعيدنى برجة واحدة الى عصور الجاهلية !!

ـ إنما لا تخف ، ستشبع بالدجاج والبيض واللبن . ماذا تريد أكثر ؟

ضحك ومرارة تزحف الى حلقه تخنقه :

ـ لأجل ذلك أرى بطنك انتفخ ، من الاول حسبته محشوا تبنا ..

ـ لأرض بالكسكسى والدجاج واللبن الرائب ..

ــ أظن أنه لم يبق أمامى الا هذا ، فلاستسلم الى الـواقع .. « إن كنا قد أرسلنا بك الى هناك فنحن نعرف ماذا نفعل .. » .

« لكن من مصلحتى ومصلحة عملى أن أكون فى المكان المنـاسب لى .. ثـم ظروفى العائلية » .

قاطعه بحدة : هل تعرف مصلحتك أكثر من الدوائر المختصة !؟ » .

« حقا هل أعرف مصلحتى أكثر من الحكومة ؟ » .

ــ الغداء اليوم عندى . أنت فى ضيافتى فتشجع أيها البطل ..

ــ سأذهب قبلا الى شيخ الكفر ، أسوى الامر معه ، ثم مشكل السكن .

ــ سنذهب بعدها معا .. لا تحلم ببيت أو غرفة حمام .. مـا هى سـوى غرف من صنع محلى . بعيدة كل البعد عن بعضها كأنها فى خصام دائم إنمـا تقوم بواجبها .. هناك واحدة قريبة منى .. هيا بنا الآن معدتى تصرخ جوعا .

« كل شىء يدعو الى الاحباط فلأغرق مصائبى فى الاكـل ، عـل الشبـع ينسينى ما أنا فيه .. » .

كذب سمعه وهو يسمع نقرا على باب الغرفة . اعتقد أنه فار يعبث بأحـد الاركان . ازداد النقر قوة . نهض متثاقلا من تحت الاغطية وهو يلقى بالكتاب جانبا . فتح الباب . انتصبت أمامه قروية جميلة يبدو على مطامحها الحياء مزج بآثار خبث برىء وهى تجول بنظراتها فى وجه الاسمر المتناسق القسمـات . وقف ذاهلا يرنو اليها .

دخلت وهى تضع اللفة التى بيديها على المائدة . قالت متلعثمة :

ــ سمعت أنك فى حاجة الى مصيدة فجئتك بواحدة . كما جئتك بقليل من الزبدة والبيض ...

قال والذهول يتنازعه مع الخوف : ما كان يجب أن تتعبى نفسك ..

ــ هل أستطيع أن أقدم لك خدمة ؟ أنت وحيد وفى حاجة الى رعاية ..

ــ لم أرك قبلا . ألا تخرجين ؟

قالت وخداها يزداد توردهما : أبى لا يريدنى مغادرة للكوخ ..

« ان كانت مساوىء الريف الملل والفراغ والوحدة التى تفرض نفسها على النفوس ، فمزاياه الهواء النقى ، والاندماج فى الطبيعة والعيش مع الفطرة . أقوى حجة على ذلك تورد الخدين ، والجسد الريان تحت الفستان العريض ..

ـ عودى الى الكوخ قبل أن يتفطن والدك الى غيـابك .. ما كـان يجب أن تأتى .. اذهبى ..

ـ أتطردنى يا سيدى ؟ كم أود أن أقدم لك خدمة ! هل أنظف لك البيت.؟

ـ صرخ بالرغم عنه : لا ، لا أريد شيئا . قلت لك عودى الى أبيك ..

شهقت باكية : أنت ترفضنى لانى قروية ..

هربت ودموعها تنساب على وجهها المتورد . عاد يرتمى على السرير متثائبا فى اكتئاب .. البنات هنا لا يكاد يلمحهن . إن رآى إحـداهن فبطـريقة عابرة كالخيال الخاطف لا يكاد يهفو حتى يختفى .

جاءت بمصيدة .. فلتأكلنى الفئران إن أرادت ، الخطر الحقيقى لا يكمن فى الفئران إنما فى طلقة بندقية تطلق فجأة بيد قروى جاهل تلوث فكره بالحفاظ على شرف يهدده الخوف الدائم .

لكن ترى ما خلف التودد الساذج نية بريئة أم مؤامرة تود الزج بـى فى متاهات النزاع والثأر ..

أيتها الشيطانة معذرة ، ما كان بوسعى أن أعطيك أكثر مما تستحقين من البراءة ، فللبراءة الآن أغراض لا تخفى على العاقل ولا تنطـلى علـى . كما لا ينطلي على تودد شيخ الكفر .

ابتسم له مهللا وجسمه البدين يبدو تحت الجبة كجدار قـائم من حجـارة صلبـة .

« كل شىء على ما يرام . أنت مدرس طيب . الاولاد يشيدون بأخلاقك وابنى لا يفتأ ينوه بمزاياك وخصالك . حظنا كبير ان كنت من نصيبنا » .

نعم ، ولكن حظى كان معدما يوم رمتنى الاقدار بينكم . هكـذا دومـا نكبة أحدهم تكون سعدا للآخر . أحمد الله على كل ضرر حصل وخير لم يحصل .

ـ أهلا بسيدنا الشيخ أشفيت مما كنت تشكو ؟

قال المؤدب وهو يتعمد التمعن فى وجهه متجاهلا مخاطبه :

ـ باذن ربنا وببركة القرآن الذى يثقل صدرى عادت الصحة وزال الخطر .

حاول أن يقول له : انظر الجرادة المستقرة فوق عمامتك الكبيرة ، لكنه غير رأيه لتبقى فى مستقرها وعليها أمان الله . عاد صوته المهلهل يطن قبل أن يذهب لسبيله :

ـ أنا لا أؤمن بعلم فى الدنيا الا بالقرآن . ما عداه هراء ، جنون للملحدين .. جنون .

ضحك شيخ الكفر وهو يلكزه فى ظهره :

ـ لا تعبأ بكلام سيدنا المؤدب ، إنه مع ذلك طيب القلب ..

« فى الحقيقة لم يعد طيب القلب الا المجنون أو الابله ، ما عداهما فقد فعل الزمان به ما شاء له » .

ـ ستتغدى معى . ستأكل أشهى أكلة بالارانب . ابنتى هى التى أعدتها .

لا شىء أكرهه مثل الارانب . لكنى سآكلها ما دمت لست مخيرا لا فى مجيئي الى هنا ولا حتى فى قبول أو رفض هذه الدعوة المرتجلة . الناس يعيشون لبطونهم ما دامت الحياة الحق لم تصل بعد اليهم .

لم تقدر الارانب سدى كانت خلفها خطة تحمل فى طياتها فتاة كالزبيب الجاف يئست الارانب وحار الكسكسى فى تغيير اتجاه مجراه . وضعت صينية بها كؤوس وبراد شاى تفوح منه رائحة نعناع ذكى .

انسحبت وهى تلقى عليه نظرة باسمة زادها الحول الذى بعينيها طرافة .

ـ من يوم أن رأيتك أحسست أنك ستكون مثل ابنى .. آه ابنى الكبير مات منذ سنة فى الخارج . حادث سيارة ما علينا . لكن أنت ، ألا تفكر فى الزواج . وتزوجت أنا دون سنك ..

ـ لم أقف بعد على قدمى لافكر فى ذلك ..

ـ لا تفكر كثيرا وادخل المعركة . لا من يموت جوعا ، الرزق على الله ..

عرفت بعد فوات الاوان سر الدعوة والارانب ، والنظرة الباسمة وهى تضع براد الشاي أمامى ، بعد ذلك .. أأومن بالبراءة !؟ فلأنم هذا هو الحل الوحيد الذى ما زال بعيدا عن منطقة الشك .

ــ المشكلة الحقيقية هى النور . لم أستطع الى الآن الرجوع الى الوسائل البدائية . ثالث مصباح ينكسر فى ظرف شهر ..

ــ عشاء على الشموع ، أهناك أكثر منه شاعرية . الناس يدفعون من أجله الاموال الطائلة فى المطاعم الفاخرة وأنت تجده مجانا وتتذمر ؟ حقيقة صدق من قال ، أولى مزايا العربى هو تذمره الدائم من شىء ومن لا شىء ..

ــ والماء مشكلة يومية ، وذاك الاحدب يأتى به وكأنه يقدم لى هبة برغم أنى أدفع له ما لم يكسبه فى حياته .

ــ المدينة أفسدتك . أصبحت تتجاهل هبة الطبيعة. من يستمع الى شكواك الدائمة يعتقد أنك برجوازى مظلوم ..

ــ تبا لك ، من كثرة سماعك الى الاذاعة أصبحت مهرجا . لا لوم عليك فى ذلك ..

ــ شكرا لها ، علمتنى أن الزمن لا يفتح ذراعيه الا للمهرجين . هل سيغير غضبى شيئا من الحقيقة .

ــ الشىء المتوفر هنا ، البرد والمذياع الذى لا ينفك يهذى . العمل الآن شراء البطاريات الجديدة . لم أكن أتصور أنى سأضطر يوما الى سماع كل الترهات التى يحملها لنا المذياع ..

ــ أنا غالبا أسمع دون أن أفهم . لم هم يتكلمون كثيرا ؟ حتما لرفع معنوياتنا . يعرفون أننا شعب عاطفى ..

ــ قل لمغالطة الرأى العام الدولى واستبلاه العقول البسيطة . ثرثرة عقيمة.

ــ حتى الاغانى التى تذاع تنزل على الروح كقطرات السم . يا ويل المستمع منها !

ــ ترى على أى أساس تتركز مهنة المذيع الحقيقية ؟

ــ التهريج هو أول أساس لها وأحسن كفاءة . ألم تقل : إنى أصلح أن أكون مذيعا .؟

ـ إنسان يحلم بالحرية وهو محشور فى قمقم من رصاص . يصـرخ مـلء صوته وفمه محاط بالاسلاك الشائكة . يرمق الجحيم بعينيه لكنه يسبح للجنة..

ـ أناس واكبهم الحظ يبيعون الهواء بمئات الدنانير ، بينما نحن نكسـر رؤوسنا اليوم كله فى تربية ما يسمونه بالجيل الصاعد ولا نكسب ما يسـد الرمق . لكأننا نكسر الصخر وربما لـو كان الصخـر نفسـه لتفتت ، لكـن رؤوسهم .. آه يا له من جيل لا يوحى بالصعود إنما هو بالنزول أجدر .

ـ وما قيمة العلم أمام ضرب الدف أظن العزلة انستك بعض الحقائق . لم لا نكون قد أخطأنا فى اختيار السبيل الموصل الى الغاية ؟

ـ ربما أتتصور ، طلبت من طفل العودة الى بيتهم لكى يغسل وجهه المتسخ بالتراب ، فما راعنى الا هو يقول لى : لم هـذا العنـاء سـأتعب فى تنظيفـه وسيتسخ مرة أخرى ..

قال ضاحكا وهو يشعل سجارة :

ـ له الحق .. سينقضى العمر ونحن نكرر نفس الافعال الروتينية ..

ـ قلت لك : أفسدك الاستماع الى الراديو . دع التهريج لاصحابه وفكر فى حل يعيدنا الى حظيرة الآدميين .. أنسيت أنك أصبحت أبا ..

ـ فى الحقيقة أوشك أن أموت ضيقا . أضحك لكى أنسى كربى . لا أعرف ماذا يحصل هناك . هل تحسنت الاحـوال أم ؟ كان من المفـروض أن نفتـح مستشفى فى كل قرية هذا هو الصواب.مستشفى بقسم خاص للولادة..أما أن أكون مضطرا للجوء الى أول مدينة تصادفنى لكى أضعها تحت رعاية دكتور ،

هذا فوق الاحتمال . لقد تركتها فى حالة سيئة .. سأتغيب مـدة يـومين أو ثلاثة لن أحتمل الانتظار أكثر . قرف .. قرف .

ـ الدنيا بخير والاحوال فى تحسن تأكد من ذلك ..

ـ لست مذيعا ولا صحفيا حتى أرى أن الدنيا كلها بخير . تبـا لـك من مراوغ .. ترى متى أراك أبا أنت الآخر ؟

ـ عندمـا تنـزل الارض من فـوق رأسـى وتسيـر عـلى الارض كجميـع المخلوقـات ..

(للقصة صلة)

حيـاة بن الشيـخ

الهجرة

شعر: الحبيب الهمابي

أتأسف يا قمري الساحرْ
فلقد قررت الهجرَهْ
من زمن النارِ إلى زمن الماءْ
قرّرت تجاوز أقداري
فأنا لا يمكن أنْ أمشي في الظلماءْ
فجميع مصابيح الدنيا سُرِقتْ
والسارقُ كالعصفورِ يحلق نشوانا في الأجواء

* * *

سأُهاجرُ من زمنٍ
أعطيته نور الفكر فأعطاني الظّلمهْ
سأهاجر من زمن
رَفَعَ الأقزَامَ إلى القِمَّهْ

* * *

أتأسف يَا قَمرِي السَّاحِرْ
فلقد قررت الهجرهْ
من زمن الشعر الكافر
زمن الحبّ الكافر

زمنِ الموت الكافر

* * *

الحبّ تلوّثَ أصبح فتّاكا (كَبَعوضَة)
الحبّ كأنه في زمني عاداتٌ أو (موضه).

* * *

يا زنبقة في القلب ويا امرأةً
حملتني بين يديها مجنونا
حملتني ملعونا
حملتني رغم حماقات الشاعرْ
يا سوسنةً في القلب ويا امرأةً
عشقتني محزونا
عشقتني مطعونا
عشقتني رغم أعاصير الزّمن الفاجرْ
أتأسف إن غادرتكِ
في وقت باكرْ
فالعاشق يخسرُ عُمْرَهُ في زمني
ما بينَ الظالمِ والثّائرْ

* * *

سأهاجرُ يا قمري الساحرْ
ولأنكِ طيبةٌ
ولأنّ علاقتنا لا يمكن أن تُنسَى
سأحبّك في زمن آخرْ
سأحبّك في زمن آخرْ !

الزخرفة في الفن العربي الاسلامي

بقلم : خالد معاذ

ما كادت شمس القرن الاول للهجرة تأذن بالغياب حتى بدت فى سماء الدنيا تباشير الحضارة العربية الاسلامية، تحمل معها فنا جديدا يعبر عن المشاعر الفنية الاسلامية تجاه الكون والوجود ٠ وكان هذا الفن معجزة من معجزات الحضارة الاسلامية ، اذ استطاع بروعته وعظمته ان يتغلب على الفنون السائدة فى البلاد التى انضمت تحت لوائه ، لواء الاسلام رغم ان هذه الفنون كانت سليلة حضارات عظيمة وعريقة فتحققت معجزة الفن الاسلامى الموحد ، فى جميع الاقطار الاسلامية وفى اقل من قرن واحد ٠

اما نشاة هذا الفن ، فكانت مع بدء الحركة العمرانية فى بلاد الشام فى ظل الدولة الاموية ، وذلك تلبية لمطالب الحضارة الجديدة وما تحتاجه من مؤسسات دينية وثقافية واجتماعية تلائم فى طابعها واسلوب بنائها وزخرفتها تعاليم الدين الاسلامى ٠

فشيدت قبة الصخرة فى القدس ، والجامع الاموى فى دمشق، ومن ثم عم هذا النشاط جميع ارجاء العالم الاسلامى فى المشرق الى المغرب ٠ وقامت المبانى على اختلاف أنواعها فى كل البلدان، وزينت بالنقوش الرائعة والزخارف المبتكرة فظهرت هذه المنشآت وكانها وجدت خصيصا لتكون الاطار الطبيعى لتلك النقوش والزخارف ، تتألق فيها بشكل رائع ليس له مثيل .

وقد اعتبر مؤرخو الفنون ، ان الفن الزخرفى العربى من اروع الفنون التى عرفتها البشرية ، وشهد له بذلك عمالقة من الكتاب والدارسين والمحللين، ونسوق هنا مثالا يدل على ذلك فى قول الكاتب الفرنسى (غاستون ميجون) فى كتابه عن الفن الاسلامى :

«لم تأت امة من الامم فى فنونها ما يضاهى العبقرية التى تتجلى فى الفن الزخرفى الاسلامى» .

فى الواقع ان الزخرفة العربية حلية الفن العربى الاسلامى وبدعته الاولى والعنصر الاساسى الذى يميز هذا الفن عن سائر الفنون .

والدور الذى لعبته الزخرفة العربية فى الفن الاسلامى ليس له نظير فى الفنون الاخرى ، وقد اكتسب هذا الدور بسبب روعة عناصره وثرائها وتعدد أنماطها .

هذا وجدير بالذكر ان دور الزخرفة العربية لم يقتصر على تزيين المبانى فحسب ، بل تعداها الى تزويق كافة أنواع الحاجيات وتزيينها مهما قل شأنها وذلك تلبية لاذواق الشعوب الاسلامية وميولها للزينة والزخرف .

ولذلك فان المجالات التى يشملها التزيين والتذويق والترصيع والتذهيب والى غير ذلك من وسائل التحلية والتجميل لا تعد ولا تحصى ، اذ تشمل كافة الاشياء الضرورية للانسان فى حياته اليومية من المهد الى اللحد . فضلا عن الاشياء الكمالية ، كالتحف والطرائف ، وادوات التسلية ، والترقية والترفيه واللهو .

اصول الزخرفة العربية :

الزخرفة العربية تستمد اصولها من الطبيعة ، فقد استفاد الصانع المزخرف مما وقع عليه بصره من عناصر نباتية وحيوانية وآدمية لتحقيق اهدافه واستوحى من هذه العناصر وألف منها صيغا زخرفية مبتكرة ، غالبا ما تكون بعيدة عن اصلها الطبيعى لدرجة يصعب ادراك مصدرها وبالاضافة لتلك العناصر فقد استفاد من الكتابة العربية واضافها لعناصره ، وزاوج بينها فى كثير من الموضوعات ، فحشد فى عمله الفنى كل ما لديه من عناصر ليخرج العمل آية من الآيات فى الرونق والبهاء .

انواع الزخرفة العربية :

للزخرفة العربية اربعة انواع حسب العناصر التى دخلت فى تركيبها ووفق ما اشتملت من اشياء كانت مصدرا لها ولسوف نتحدث عن كل نوع من هذه الانواع ونحلل ما اشتملت ودلت عليه .

اولا ـ الزخارف النباتية :

ان الزخارف النباتية من ابرز العناصر المميزة للفن العربي الاسلامي تكشف لنا عن الرغبة الكامنة عند الفنان للابتعاد عن المحاكاة ، والنقل الحرفي والاقتراب من التجريد ، فقد اخذ المزخرف من الطبيعة مصادره ، مستخدما الاغصان والفروع والاوراق واعتمد عليها في تكوين الصيغ الزخرفية النباتية ومن ثم تطورت هذه الزخارف عبر العصور : فكانت واقعية في العصر الاموى ثم بدأت تصبح تجريدية شيئا فشيئا وذلك في القرن الثالث للهجرة • (التاسع ميلادى) وأصبحت التجريدية محضه في القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر ميلادى) •

تكوين الزخرفة النباتية :

عندما يشرع الفنان في تكوين صيغة نباتية ، يرسم اولا الجذوع والاغصان على السطح المطلوب زخرفته ، وقد تخرج تلك الجذوع والاغصان من شجرة او ساق وتمتد على هيئة دوائر والتواءات متموجة تذكرنا بشجرة العنب وتخرج من تلك الاغصان عناصر تغلب عليها اشكال الاوراق والزهور التي تتراوح بين البعد والقرب من الطبيعة وتملأ الفراغ المحصور بين تلك الاغصان

وقد تصل هذه الزخارف النباتية المكونة من الجذوع والاغصان والفروع ، والملتفة والمتشابكة والمتتابعة الى اشكال هندسية عند ابتعادها عن الاصل •

وقد برزت هذه الزخارف النباتية شبه الهندسة في العصر العباسي في القرن الثالث الهجرى (التاسع ميلادى) وخاصة من (سامراء) في العراق وفي مصر في العصر الطولوني • وفي ايران كما نراها في جامع (نايين) •

لقد ازدهرت الزخارف النباتية وبلغت ذروتها في آواخر القرن السادس الهجرى (الثاني عشر ميلادى) وانتشر استعمالها ليشمل سائر الاقطار الاسلامية وظهرت بالاضافة الى المباني ، على كافة انواع المواد وضروب المصنوعات •

واما الشكل الواقعي للزخارف النباتية فقد عرف الازدهار في بعض الاقاليم كتركيا وايران فيأواخر القرن التاسع الهجرى (الخامسعشر ميلادى)وتسرب بعدئذ الى مصر وسورية وقد ظهر هذا الشكل على القاشاني وجلود المصاحف ،

وبعض الاواني الخزفية وقد تميزت هذه الزخارف النباتية الواقعية بظهور بعض الاشكال الطبيعية للاغصان والاوراق ولا سيما بعض الازهار واهمها زهرة الرمان والزنبق والقرنفل والورد بالاضافة الى شجرة العنب وعناقيدها ٠

ثانيا ـ العناصر الهندسية :

لعبت الاشكال الهندسية دورا كبيرا فى الفن العربى الاسلامى وظهرت فى اشكال واوضاع لم يسبقها مثيل ، وتناولت شتى المجالات فلا تخلو عمارة او صناعة منها ، وعمت فى كل بلد من بلدان العالم الاسلامى ، واشتهرت بها مصر وسورية كثيرا .

وللزخارف الهندسية قواعد واصول وقوانين ولا تعتمد على الموهبة الفنية وحدها وذلك لانها تتطلب معرفة واسعة بعلم الهندسة وقوانينها الرياضية ولقد تفنن الصانع العربى فى تنويع الزخارف الهندسية وابتكار الاشكال الجديدة والتكوينات العديدة ، واعطى الخطوط روحا جعلتها رشيقة وطوع الخطوط لافكاره وجعلها اداة يصوغ منها ما يشاء ٠ فأخذ المثلثات والدوائر ذات المراكز المتعددة والمضلعات والمتناظرات والمتماثلات التى تملؤها الاشكال الهندسية ورسم النجوم التى تتراوح اضلاعها بين خمسة وستة عشر ضلعا ، ومددها فكونت اشكالا مبتكرة ، وكرر النجمة الواحدة وجعل منها سلسلة متصلة او منفصلة واخرجها من امتداد الخطوط المتجاورة وتشابكها فى الفراغ الذى شكله ابتعادها وكرر هذا التكوين فى اشكال افقية بين خطين متوازيين او جعلها تتكرر افقيا او عموديا فى اطار مربع او مستطيل فالتقت النجوم ببعضها البعض فى نظام وترتيب لا يشوبه اى خلل ، وتداخلت الخطوط المحددة والتقت فى اشكال متشابكة ، وتوصل الى نتائج مدهشة لروعتها ودقتها مما يجعل المشاهد يقف حائرا فى كيفية تلوينها وهذا العمل يتطلب الخبرة والممارسة الطويلة ٠ الى جانب الصبر والاناة ٠ والصانع الماهر هو وحده القادر على الوصول الى تلك التكوينات المتنوعة والصيغ المختلفة التى تتكون من النجوم والمضلعات والتى هى عماد الزخرفة العربية ٠

ثالثا ـ عنصر الخط العربى :

احتل الخط العربى مكانة جليلة فى العالم الاسلامى ، وافرد الناس للخطاطين مكانة خاصة ، وكذلك اهتم المؤرخون بمشاهير الخطاطين وطبقاتهم

اسوة بطبقات الحفاظ او القراء وغيرهم ، وشمل هذا الاهتمام هواة الخط من الاعلام وقد ورد فى تراجمهم ما يشير الى حسن خطهم او جودته ، ومن اشهر هؤلاء ابن مقلة الوزير العباسى ٠

انتقلت الكتابة فى بادىء الامر من البردى ورق الغزال الى الكاغذ اى الورق فكتبت عليه المصاحف والمؤلفات المتنوعة ، ثم انتقلت الى سائر المواد كالحجر والرخام والجص والخشب والنحاس ، فانتشر فى العمائر والصناعات ، فزينت بالآيات القرآنية والقصائد والاشعار ،ونفذت حفرا او نقضا او تطعيما او سواها من الوسائل والاساليب ٠

فاصبح للخط وظيفة اخرى ، فضلا عن وظيفته الاصلية وهى الكتابة ، فأضحى الخط يمارس دور التزين فى الابنية والمصنوعات واصبح من العناصر الزخرفية الاساسية فى الفن العربى الاسلامى ، وادى تطوره الى ظهور الانواع العديدة منه ٠

اهمها اسلوبان رئيسيان : يعرف الاسلوب الاول بالخط الكوفى نسبة الى مدينة الكوفة بالعراق وحروفه ذات زوايا حادة . ويعرف الثانى بالنسخى وحروفه مقوسة .

الخط الكوفى :

ظهر الخط الكوفى منذ القرن الاول للهجرة ، مستعملا فى شتى الاغراض الكتابية اهمها كتابة القرآن الكريم ، ونقش تواريخ الابنية واسماء بناتها على عتبة ابوابها او فى اماكن اخرى من البناء كالاقواس والمآذن ٠ فضلا عن حفر نصوص شواهد القبور ٠

وقد تحول الخط الكوفى بدءا من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر ميلادى) الى عنصر زخرفى رائع ، وذلك على اثر ظهور الخط الكوفى المزهر ، اذ تجلت عبقرية الخطاط فى هذا المجال ، حيث صنع فى الاحرف الكوفية ذات الاشكال والاوضاع المتباينة ، زخارف تفيض بالاناقة والظرف ، ثم تفنن فى تزويق هذه الاحرف واستعان بالاشكال النباتية لهذا الغرض فجعل للاحرف وريقات تتوجها ، ثم حل محل الوريقات غصن ينبت من الحروف ويملأ الفراغ حوله بفروعه واغصانه ٠

استمر الخط الكوفى طيلة ستة قرون الا انه ظهر من جديد فى اواخر القرن العاشر الهجرى (السادس عشر ميلادى) وخاصة فى تركيا الى شكل شطرنجى ضمن اطار مربع او مستطيل .

ثانيا ـ الخط النسخى :

كانت بداية استعمال الخط النسخى فى اواسط القرن السادس الهجرى (الثانى عشر ميلادى) وقد حل محل الخط الكوفى كعنصر زخرفى فى تزيين العمائر والمصنوعات اليدوية ، ففى العمائر ظهر على جبهة الابنية بشكل طراز يضم الكتابة المنقوشة على الحجر والتى تمتد على طول الجهة ، ونفس الطراز استخدم فى تزيين الجدران الداخلية ، انما منقوش على الجبس بدلا من الحجر .

وقد ظهر فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر ميلادى) الخط النسخى المزهر ، واستخدم فى المبانى ايضا اسوة بالخط النسخى البسيط .

هذا وقد استعمل الخطاطون ، اعتبارا من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر ميلادى) خطوطا مبتكرة رسومها على الورق بأشكال طريفة كالاوانى والطيور والحيوانات والسفن .

كما انهم تفننوا فى كتابة الخطوط على اطباق من الورق تضم آيات قرآنية وادعية جعلوها ضمن اطارات على هيئة اللوحات ، تعلق فى المساجد او الدور ، ويكاد لا تخلو منها اى دار فى ما مضى ، بل ان اصحاب الحوانيت انفسهم كانوا يحرصون على وجود امثال هذه اللوحات فى دكاكينهم .

هذا ولم تقتصر الكتابة فى هذا الدور على الخط النسخى فحسب بل شملت سائر انواع الخطوط التى سبق ان ابتكرها الخطاطون ، كالرقعى والثلثى والفارسى والى غير ذلك من انواع الخطوط ، ولكل نوع من هذه الخطوط جماله وروعته .

رابعا ـ الكائنات الحية :

سبق لنا ان اوضحنا ان الفنان العربى المسلم لم يتجه الى محاكاة الطبيعة ولم يكن يرسم الاشياء لذاتها ، بل كان يحورها الى عناصر زخرفية ، فيكيفها ويحورها لتحقق اغراضه الجمالية وقد استعملت عناصر الكائنات الحية فى

تزيين سائر أنواع الاشياء المصنوعة من الخشب او النحاس او العاج او الخزف والى غير ذلك من المواد ، وغالبا ما توضع هذه الاشكال الحية داخل صيغة هندسية وتكون الاشخاص او الحيوانات متقابلة او متباعدة ، وبينها صيغة الخلود او الحياة التى كانت معروفة عند الاشوريين ثم ظهرت فى الفن الساسانى ، او تكون هذه الاشخاص او الحيوانات متتالية على شكل شريط زخرفى ، ومنها ما يمثل حيوانا ينقض على الآخر ، او مجموعة من الطيور فى الطيور فى تكوين زخرفى ٠

ويلاحظ أن كثيرا من رسوم هذه الطيور والحيوانات كانت تنتهى اطرافها بأشكال هندسية نباتية ، امعانا فى تحويلها الى عناصر زخرفية بحت وابعادا لها فى شكلها الطبيعى ٠

الرقش :

ان الرقش هو المرحلة الاخيرة التى وصل اليها الفنان فى مراحل الابتكار وذروة الابداع الفنى اذ مزج الخطوط الهندسية المتنوعة الاشكال والاوضاع مع العناصر النباتية ومع الخط العربى المزهر ، وجعل جميعها عنصرا زخرفيا جديدا له اشكاله واوضاعه اللامتناهية من حيث التنوع والابداع ، وهذا ما يسمى بالرقش او (الارابسك) ٠

وقد اشتهر هذا الشكل المتطور من حيث الابداع فى العالم الاسلامى وقد توخى الفنان بهذا الشكل المتطور تجنب الملل والحرص على ملء الفراغ او السطح الخالى من الزخرف الناتج فى التكوينات الهندسية واشغاله بما ينسجم مع كامل الصيغة الزخرفية ٠ وقد اغنت هذه الصيغة التزيينية الفن العربى الاسلامى بالاشكال الجديدة الجديدة التى اعطت لهذا النوع من الزخارف المخروجة طابعا خاصا ليس له نظير ٠

واخيرا هذه العناصر الاساسية للزخرفة العربية الاسلامية ، التى استخدمت فى رسم وتكوين الصيغ الزخرفية لتزيين الابنية وتزويف المصنوعات على اختلاف انواعها ٠ والتى تجلت مظاهرها فى اروع اشكالها فى الفن العربى الاسلامى ٠

وهنا لا بد أن نتساءل عن العباقرة الذين ابتكروا هذه الروائع والايدى الماهرة التى نفذتها : وهذا يحدونا للبحث فى الفن والصناعة :

كل من تتبع اخبار الفن فى مختلف المصادر العربية ، يلاحظ ان كلمة الفن بالمعنى المقصود فى عصرنا هذا لم تكن معروفة عند العرب والكلمة التى كانت تفيد معنى الفن كما نعنيه اليوم هى كلمة الصنعة او الصناعة ونجد فى القواميس العربية ان كلمة الفن كانت تشتمل على اكثر من معنى ولا تعنى مباشرة ما يقصد بها الآن .

وقد استخدم ابن النديم كلمة الفن فى كتاب الفهرس بمعنى النوع او الضرب او الصنف ، فقال فنون فى النحو وفنون الاخبار وفنون فى الكلام والمتكلمين وفنون فى العلوم الفلسفية ، واما كلمة الصنعة فقد استخدمها بمعنى العلوم ووضع الهندسة والموسيقى فى سلك العلوم .

ووصف ابو الفرج الاصفهانى التلحين والغناء فى كتاب الاغانى بالصنعة واما ابن خلدون فقد افرد فى مقدمته فصلا لما سماه (صناعة الغناء) .

وثمة الكثير من الامثلة التى تدل على ان العرب استخدموا كلمة الفن فى الكلام عن فروع علمية مختلفة كاللغة والفقه والحديث والمنطق والحساب وهى كلها فروع لا صلة لها بالفن كما نعنى به اليوم ، مما يؤكد ان كلمة الفن بمفهومها الراهن كانت غير معروفة ، وان كلمة الصناعة ، هى الوحيدة التى كانت تفيد مفهوم الفن الحالى .

الفنان والصانع :

كذلك لم تستعمل المصادر العربية كلمة فنان اطلاقا ، وما نسميه اليوم بالفنان كان يعرف بالمعلم او الصانع . وقد اهملت هذه المصادر شخص الصانع العربى (الذى هو الفنان بمفهومنا الحاضر) واقتصرت على ذكر اثاره وهى ظاهرة ملموسة فى كل المصادر التاريخية العربية ، فكثيرا ما نعثر على وصف دقيق لبناء اسلامى يسهب المؤلف فى الحديث عن روعة ودقة صنعه وعجائب تكوينه دون أى ذكر للصانع أو الصناع الذين أقاموه ومن هؤلاء المؤلفين ابن جبير ، وابن بطوطة ، وابن فضل الله العمرى وسواهم .

الواقع ان الصانع او الفنان المسلم لم يسع لاشهار اسمه ولم يعمد للتوقيع على عمله (كما يفعل فنانو الغرب) واذا فعل ذلك ــ وهذا أمر نادر

ـ فانه يكتب اسمه واسماء من شاركوه العمل من الصناع فى زاوية متواضعة من البناء ـ وغالبا ما يكون فى المساجد وذلك ابتغاء الاجر والثواب عند الله اكثر منه التماسا للشهرة والفخر ٠

فى الحقيقة كل عمل فنى اسلامى ، يعد عملا شعبيا جماعيا ، يتم عمله تحت اشراف المعلم وتذوب فيه شخصية الافراد الذين اشتركوا فى انجازه بما فيهم المعلم نفسه ٠

ولذلك فقد اصبح من الضرورى الآن ـ ولكى نجارى الواقع ـ ان نسمى كافة الصناع الذين عملوا وابدعوا فى الفن العربى الاسلامى بالفنانين وان نسمى الصناعات (اى الفنون) التى كانوا يمارسونها لتزيين الابنية وتزويق المصنوعات بالفنون الزخرفية ٠

الفنون الزخرفية :

ازدهرت الفنون والصناعات مع ازدهار الحضارة العربية الاسلامية واشتهر الاقبال على تزيين المبانى الدينية والمدنية كالمساجد والمدارس والدور والقصور وسواها من المنشآت ، بشتى ضروب الزينة والزخرف ، وتهافت النـاس على اقتناء الاشياء المزوقة بالرسوم والنقوش ، فأدى ذلك الى نشوء حرف عديدة لسد هذه الحاجة ولجأ صناع هذه الحرف الى اساليب مبتكرة ووسائل شتى لتلبية الطلبات المنهالة عليهم ، كالنقش والرسم والتذهيب والتلوين والتطعيم والتعشيق وسواها من الوسائل والاساليب التى اصطلح على تسميتها بـ (الفنون الزخرفية) وهى نوعان :

أولا ـ الفنون الزخرفية فى تزيين المبانى :

وهى الزخارف التى تستخدم فى تزيين وكسوة جدران وسقوف المبانى وتعرف اليوم بالتزيينات الداخلية وهى زخارف ثابتة ووسائلها :

الفسيفساء ، النقش والتلوين على الخشب وكان يعرف فى الماضى باسم (النقش الشامى) والنحت على الحجر والرخام والجص ، والقاشانى وخلافه من وسائل الزينة والزخرف ٠

الثاني ـ الفنون الزخرفية فى تزويق الاشيـاء :

هذه الزخارف التى تنحت على كافة انواع المواد كالخشب والنحاش والعظم والعاج والذهب والفضة والخزف والفخار والزجاج والنسيج .

واما وسائلها فبالنسبة للخشب فهو الحفر والتطعيم ، واما النحاس فيتم تزويقه بحفر المعدن ثم ملء الجزء المحفور بالذهب او الفضة .

وقد صنع الفنانون من النحاس اشياء وتحفا مختلفة كالاباريق والصوانى والاوانى المختلفة ومن الذهب يصنع الصياغ أنواعا عديدة من الحلى . واما الزجاج قد صنع منه المصابيح المدهونة والمزوقة ، ويصنع فى كافة انحاء العالم الاسلامى وتشتهر دمشق بنوع فاخر منه وهو الديباج الذى اشتهر باسم (البروكار) وجدير بالذكر اننا لم نحص بهذه العجالة كافة الصناعات الموجودة فى العالم الاسلامى والتى تعد بالمئات ولكل صنعة من الصناعات حرف خاصة وحرفيون يقومون بتنفيذ الاعمال التى هى من اختصاصهم .

مصير الفنون والصناعات الزخرفية وواقعها

لقد حافظت المدن الاسلامية على جانب من روائع فنونها الزخرفية الثابتة التى حملتها الى عصرنا مختلف المبانى الاثرية ، الا ان المصنوعات اليدوية المزخرفة والمزوقة ، لم يكن لها نفس الحظ فى الصيانة والخلود ذلك لانها من الاشياء المنقولة التى تستعمل فى اغراض شتى وتتعرض للعطب والتلف ، كالخزف والزجاج والخشب والنسيج والورق والجلد وغيرها من الاشياء والحاجيات المصنوعة من أمثال هذه المواد ، كما اسهم تبدل اذواق الناس بطغيان (الموضة) الغربية فى القضاء على المصنوعات المحلية فلم يبق من روائعها الا ما ندر ، واصبح من مقتضيات المتاحف وقد قام المتحف الوطنى بدمشق ـ اسوة بسائر المتاحف العربية والاسلامية ـ بجمع واقتناء بقايا هذا التراث الفنى ، الا ان القسم الاعظم منه كان قد تسرب زمن السيطرة الاستعمارية من البلاد الاسلامية الى الخارج ، وعلى سبيل المثال فان كثيرا من الاخشاب المنقوشة والمدهونة التى كانت تكسو سقوف وجدران القاعات الشامية اصبحت تشاهد خارج البلاد بل ان كثيرا من القطع الاثرية الحجرية والرخامية وحتى منابر الجوامع وشواهد القبور لم تسلم من ايدى سماسرة العاديات وتجارها او من مطامع الاجانب المقيمين أو العابرين . وقد أصبح الجانب الاكبر من تراثنا

الفنى من مقتنيات متاحف العالم الغربى منذ أمد بعيد . واصبح لا يخلو أى واحد من هذه المتاحف من روائع صناعتنا وكنوزنا الاثرية .

وعزاؤنا الوحيد ازاء الامر الواقع هو ان هذه الاثار المتسربة الى متاحف العالم اصبحت وسيلة من وسائل الدعاية والاعلام عن مستوانا الفنى والحضارى واصدق سفير يبصر الغير بمجدنا التالد العريق .

ولعل مما يواسى بعض الناس ان جانبا كبيرا من مصنوعاتنا التى كانت فى ما مضى من أدوات الطبخ كالقصعة والكفكير والطبق والابريق ، تحتل اليوم مكان الصدارة فى صالونات القصور وقاعات المتاحف .

واخيرا فان منجزات الفن العربى الاسلامى التى ملأت الدنيا خلال القرون الاربعة عشر هجرية باروع الاعمال الفنية لا تزال قائمة تشهد بمساجدها ومدارسها وحماماتها وسبلها وفنادقها وخاناتها ودورها وقصورها ، ما تحتويه من الزخارف على عظمة الفن العربى الاسلامى .

فضلا عن ذلك فان بناء وزخرفة المساجد على النمط العربى الاسلامى لا يزل مستمرا فى سائر الاقطار الاسلامية ، بل وحتى فى البلاد الاجنبية .

اما من حيث الفنون الزخرفية والصناعات اليدوية لا تزال اغلبها موجودة ومستمرة ولا يزال اربابها من الحرفين صناعا ومعلمين قادرين على العطاء والابداع فى كافة البلدان الاسلامية ولا يزالون يمارسون اغلب الصناعات التقليدية الموروثة .

« المصادر والمراجع »

أ ـ العربية :

1 ـ ابن جبير (أواخر القرن السادس هـ) الرحلة حسين نصار مصر 1955

2 ـ ابن خلدون مقدمة ابن خلدون بيروت .

3 ـ ابن النديم الفهرس لابن النديم ـ القاهرة

4 ـ الالفى (ابو صالح) الفن الاسلامى ـ القاهرة 1969

5 ـ حسن (زكي محمد) فنون الاسلام ـ القاهرة 1948

6 ـ عبد الحق (سليم) ، خالد معاذ دمشق الاثرية ـ دمشق 1950

7 ـ عبد الوهاب (حسن) تاريخ المساجد الاثرية ـ القاهرة 1946

8 ـ عبد الوهاب (حسن) الاثار الاسلامية بمصر ـ القاهرة 1955

9 ـ العمري (ابن فضل الله) مسالك الابصار (تحقيق احمد زكي باشا) القاهرة 1924 .

10 ـ القاسمي (جمال الدين)، خليل العظم تحقيق ظافر القاسمي باريز 1960

11 ـ مرزوق (محمد عبد العزيز) الفن الاسلامي ، تايخه وخصائصه بغداد 1965 .

12 ـ مرزوق (محمد عبد العزيز) الفن المصري الاسلامي القاهرة 1969 .

ب ـ المراجع المعربة :

1 ـ م. س. ديماند : الفنون الاسلامية (تعريب احمد محمد عيسى) القاهرة 1954 .

2 ـ ارنست كونل : الفن الاسلامي (تعريب احمد موسى) بيروت 1966 .

جـ ـ مرجع تركي بالاحرف العربية :

1 ـ جلال أسعد تورك صنعتي استانبول 1928 .

د ـ ابحاث تأليف خالد معاذ :

1 ـ تكوين الفن العربي الاسلامي نشر بمجلة الموقف العربي العدد 64 سنة 1965 .

2 ـ العرب والفنون الجميلة نشر بمجلة الموقف العربي العدد 65 سنة 1965

3 ـ موقف العرب من التصوير نشر بمجلة الموقف العربي العدد 66 سنة 1965

4 ـ الزخرفة العربية نشر بمجلة الموقف العربي العدد 70 سنة 1965

5 ـ الخط العربي نشر بمجلة الموقف العربي العدد 71 سنة 1975

6 ـ الفنون والصناعات العربية بدمشق نشر بمجلة العمران (عدد خاص عن دمشق العدد 13 ـ 14 ـ 15) سنة 1967 .

هـ ـ مؤلفات ومواضيع تأليف خالد معاذ (لم تنشر) :

1 ـ الفن الاموى .

2 ـ الفن الاسلامى .

3 ـ صناع الفن العربى .

4 ـ اسماء وتواقيع الصناع العرب على أعمالهم

5 ـ الصناعات اليدوية فى سورية .

6 ـ الزخرفة العربية .

7 ـ الخط العربى .

8 ـ تاريخ الازياء العربية .

9 ـ الازياء الريفية

10 ـ التطريز (الاعبانى)

11 ـ التطريز الريفى .

12 ـ البسط والطنافس السورية .

و ـ سلسلة روائع الفن العربى الاسلامى فى سورية :

1 ـ التجارة العربية وانواعها .

2 ـ الحفر على الخشب .

3 ـ النقش والتدكيك والتطعيم .

4 ـ الحفر على الجص .

5 ـ الحفر والتنزيل على النحاس (المكفت)

6 ـ الزجاج المزوق .

7 ـ الخزف السورى .

8 ـ القاشـاني .

9 ـ الفسيفسـاء .

10 ـ تجليد الكتب وتزويقها .

ز ـ مراجع باللغة الفرنسية ـ تاليف خالد معاذ

ح ـ المراجع الاجنبيـــة

1 — Khaled Moaz - Le Mausolee dIbn Al-Muqaddam mélanges de l'institut Français de Damas Beyrouth 1929

2 — Khaled Moaz - Solange ory - Inscriptions Arabes de Damas Les Stèles Funéraires

I. Cimétière d'Al-Bab Al-Sagir Damas 1977

1 — Gustare le Bon - la civilisation des Arabes Paris 1884

2 — H. Saladin Manuel d'Art Musulman Paris 1907.

3 — Georges Marçais— Manuel d'Art Musulman Paris 1926

4 — Gaston Migean les Arts Musulmans Paris 1926

5 — Gaston Migean Manuel d'Art Musulman Paris 1927

6 — Henri Martin - L'Art Musulman Paris 1947

7 — Arseven - Celal Esad : Les Arts Décoratifs Turcs Istanbul 1954.

8 — Tatkin Suat Kemal : Islam Sanati Tarihi Ankara 1954.

9 — Dimand - A Hand Book of Mohammadan Arts New York 1955.

10 — Shafi'i Ferid - Simple Caliyx Ornements in Islamic Art- cairo 1956.

II — Brentjes Burchard - Die Söhne Ismaels Leipzig 1971.

12 — (Edition des Musées Nationaux) :
L'Islam, dans les Collections des Musees Nationaux Paris 1977.

وَيبْقى النّخْل العربيُّ الباسِقُ أخْضَر

شعر: محمد علي الهاني

أمْطارُ اللّعْنَةِ والمَنْفَى
ورِيَاحُ سَمُومٍ تقْرَؤُنِي
فَأُغَنِّي ...
صَوْتِي صَاعِقَةٌ
لاَ تَلْبَسُ ثَوْبَ الدّمْعِ
ولا تحْسُو دَمْعَ الشّجَنِ
وأُغنّي ...
يَزْحَفُ نَحْوِي رَمْلُ الصحراءِ الصاهِلِ
تَنْتَصِبُ الخَيْمَةُ في القَلْبِ العَاشِقِ
عَنْتَرَةُ العَبْسِيّ يُصَافِحُنِي
يَعْوِي السّجّانُ المُتَواري
في كهْفِ الظُّلْمَةِ ... تأتِي الريحُ على صَوْتِي
وتَهِرّ كلاَبُ الصّيْدِ تُحَاصِرُني
هَلْ أسْقُطُ في سرداب الصّمْتِ
وَأدْخُلُ في بُسْتَانِ الحُلْمِ إذَنْ ؟؟
كلاّ ..! صَمْتِي سَيْفٌ مَسْمُومٌ يطعنُنِي
والحلمُ سَرِيرُ المسحوقِين على الدّمَنِ !

هَلْ أَسْقُطُ في سرداب الصَّمْت ...؟
تَجُوعُ الحُرّة ... لكنْ ... تتحدّى صَرْفَ الزَّمَن !؟
أتحدّى مرسُوم السلطان وكرباج الجلاّد وأقرأ في بستان الشوك الوحشيّ
كتابَ الأرض تصيرُ الزنزانةُ زهرةَ ماءٍ تغسلُهَا الأنداءُ وتغسلُني
قسماتُ الوجه الغارق في ديجُور الغُرْبَة تنْشُرُ أشجارَ العشْق
وهذا البيتُ الأسْوَدُ يحجبُ ضوْءَ الشّمْس ... فأين العاشقُ والمعشُوقُ
وأيْنَ أنا ؟؟ هذا كفني ...!
اه ! مَنْ يغْسِلُ وَجْهَ التّاريخ الممسُوخ
فهَلْ أنْتَ نبِيّ ؟؟؟
اضْربْ بعصاكَ الأرْضَ إذَنْ ..
تَسْتَأصِلُ نارُكَ كُلَّ تضاريس العفَن !
هَا رَأْسِي — فوْقَ الشّمْس يُغازلُهَا
تتَوَرّدُ خدّاهَا .. فتُعانقُني
أتلاشَى ضوْءاً في الضوْء
أنَا الشّمْسُ .. فمَنْ يُوقفُني ؟
لَنْ يُوقفَني أحَدٌ لَنْ يوقفَني !
الشّمْسُ أنَا ...
وَعلى الإسفلت شظايَا أغْنيَةٍ
قَدْ صَادَرَهَا السلطانُ
فهَلْ صَادَرَهَا الفَصْلُ الثّامِنُ مِنْ دستوركَ يَا وطني ؟؟؟
أتوَغّلُ في أفُق الزّمَن المكدُود — فراشة عطْر —
أبْحثُ عَنْكَ وأسألُ زَهْرَ النّار ونَارَ الزّهْر ولاخبَرٌ
يُنْبُوعُ الضّوْء مِنَ الصّحْرَاء تدَفّقُهُ
ودَمِي حَوْلَ اليُنْبُوع الميّت مُنْتظِرٌ

صَاعِقَةَ حُبْلَى بِالرَّعْدِ الوَاعِدِ
هَلْ يَبْقَى الوَطَنُ العَرَبِيّ بِلاَ وَطَنِ
سُفُنُ الصَّحْرَاء بِذَاكِرَتِي
تَرْغُو ... تَرْغُو ... تَرْغُو
لاَ أشْرَفَ مِنْ سُفُنِي !!
فَلِمَاذَا أعْرَى بَيْنَ المَاء وَبَيْنَ النَّارِ وهَا كَفَنِي ؟؟
تَعِبَ السَّوْطُ وَأدْمَى كَفَّيْهِ الجَلاّدُ
فَهَلْ أنْقَادُ لِنَخَّاسٍ فِي سُوقِ الرِّقّ إذَنْ ؟؟
كَلاّ ..! مَوْتِي تَمُّوزِيّ – لا شَكّ – يُخَامِرُنِي ..!
هَلْ هَذَا الخَارِجُ مِنْ جَيْبِي شُرْطِيّ ؟
قِفْ .. قِفْ .. لا تَتَسَلَّلْ ..! بِنْتُ السلطانِ تراوِدُنِي
وَقَمِيصِي مُزِّقَ مِنْ دُبُرِ
قِفْ ..! لَسْتُ بِوَضّاحِ اليَمَنِ !
قِفْ ..! قِفْ .. لا تَتَسَلَّلْ ...!
مُحِيطُ الوَطَنِ المُنْبَتّ يُغَازِلُنِي ...
وَخَلِيجُ الوَطَنِ المُنْبَتّ يُغَازِلُنِي ...
وَأنَا المَلاّحُ التَّائِهُ بَيْنَ الإثْنَيْنِ بِلاَ سُفُنِ !!!
سَجِّلْ بِيَرَاعِ الضَّوْءِ على لَيْلِ الزَّمَنِ :
تَحْمَرّ الاوْرَاقُ وَتَسَّاقَطُ كالعِهْنِ المنفُوشِ
وَيَبْقَى النَّخْلُ العَرَبِيّ البَاسِقُ أخْضَرَ يَا وَطَنِي
سَجِّلْ بيرَاعِ الضوْءِ على لَيلِ الزّمَنِ :
تَضَّاءل كُلّ الأشْجَارِ وَيَنْمُو النخلُ الباسِقُ يَنْمُو
يَتَجَذّرُ فَوْقَ الشَّمْسِ فَيَنْهَارُ البَيْتُ الأسْوَدُ فَوْقَ الدِّمَنِ

سَجِّلْ .. سَجِّلْ ..
عُرْبِي صَفَّارَةُ انْذَار
وَدَمِي مِعْرَاجُ الشَّمْـس
أنَـا الشَّمْسُ فَمَنْ يُوقِفُنِـي ؟
لـن يُوقِفَنِي أحَـدٌ لَنْ يـوقِفَنِي !
سَجِّـلْ في القَـائِمَـةِ السَّـوْدَاء إذَنْ :
صَلَّيْتُ أنَـا في محرابِ الثَّوْرَةِ فَوْقَ رِمَالِ الصَّحْرَاءِ ..
وَكَـانَ النَّخْلُ يُظَلِّلُنِي
سَجِّـلْ .. سجل ..
في حنجرتي مِـزْمَـارُ الرَّفْضِ
أنَـا أحْمِلُ عِطْرَ الأمْطَـارِ وَأبْحَثُ عَنْ رَجُلٍ
يَتَدَفَّقُ مِنْ عَيْنَيْهِ الرَّفْضُ فَيَجْرِفُنِي
سَجِّلْ .. سجل ..
مَفْتُـوحٌ جُـرْحِي
فـادخُلْ مِنْ نَـافِذَةِ الجرح إلى القَلْبِ الأخْضَرِ عصفوراً أخْضَرَ
أوْ سَيْفـاً
فَـأنَـا الرَّافِضُ والمرفـوضُ
وَأنْتَ العَاشِقُ والمعشُـوقُ
وَبَيْنَ الرَّفْضِ وَبَيْنَ العِشْقِ يَـدٌ
تَمْتَدَّ .. وَتَمْتَدَّ .. وَتَمْتَدَّ ...
تُعِيـدُ الرَّأسَ المَقْطُـوعَ إلى البَدَنِ .

محمد علي الهاني

وطني وفارس الفجر

إبداع : التهامي الهاشمي

وطنـي ..
من صمت الصغار ،
من قهر الحفاة فى الخيام ،
وهجرة ليلنا والنهار ،
تمتد جروحنا أبعديه ..

* * *

وطني .. هذا زمان تتناسل فيه أعداء ..
هذا زمان عمائم الخلفاء ،
خناجر الامراء
بينها تتجمد كلمات السؤال ،
ودموع البكاء ..
منا ضاعت ذاكرة ،
حتى تناثرت أغصان الاشجار ،
وذوت أزهار وازهار ،
وتخشبت الجذور فى التربة العطشى
وصحارى الوطن الممتد بين الماء والماء

تنشر مغاور للوحوش ..
وصليلا غائرا فى الصمت ..
ومدائن خزى وعراء ..
يا نقيق ضفادع المستنقعات
من حزن أطفالنا ، يمتد الجرح ...
من ذل رجالنا ، يمتد الجرح ..
هى بداية عد التنازل للثأر ..

* * *

آه يا فارس الفجر ،
يا فارسا تعشقه امرأة ترقب المخاض
يا فارسا تعبده امرأة طال زمان حملها ..
مسيلمة فى عكاظ ..
مسيلمة يعانق الارض بين الماء والماء ،
مسيلمة ينادم أموات الاحياء
ومدائن الرعب تنكر وجوه الاقرباء ...
وطنى .. يا وطنى ..

التهامى الهانى

العدد الاول من مجلة « الشعر »

صدر ـ صيف 1982 ـ أول عدد من مجلة « **الشعر** » الفصلية التى أسسها ويديرها الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية .

هذه أول مجلة للشعر تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية بتونس إنها لظاهرة صحية للشعر العربى فى تونس إذ جاءتنا بعد طول انتظار تحمل لنا « .. من نصوص الشعر ما يتميز بالروح الشعرية الحق ويؤثر فى النفس الذواقة ويهز الوجدان .. » ومن الدراسات الشعرية عدة عناوين نذكر منها : « مسائل نظرية فى جماليات الشعر » و « اليوت والبحر » و « رمز العطش فى شعر الصادق شرف » و « أثر السياسة والذات فى البناء الشعرى » و « القافية : أهى وسيلة تجميل أم وسيلة تكبيل ؟ » .

.. وتراقب المطر

قصة : بنت البحر

« سينتهى اليوم كل شىء !..

يكفى ما كان .. يكفيها صبرا وانخذالا » .

السماء تشرع سحبها الثقيلة الخانقة فى وجهها . والهواء يتدفق باردا من النوافذ الباقية بلا مصاريع . والجدران التى لم تكلس بعد ، يزداد اسمنتهـا قتامة مع ارتحال الشمس .

رفعت ياقة معطفها وهى تطرف ببصرها نحو الغيـوم الكثيفة القـادمة من الأفـق .

تململ الصغار فى أماكنهم رغم الكتب المفتوحة أمامهم . سعل طفل . جذب آخر منديله يمسح أنفه .

هبت ريح تلسع كامل جسدها رغم اللباس الصوفى والمعطف الـذى لـم تتخل عنه .

« الريح والبرد ، والتعب ليل نهار ، والعمل فى اصطبل مفتوح . لن تستمر فى هذه المهزلة ! لن تواصل دورها المضحك المبكى فيها ! »

سرت همهمة فى صفوف الاطفال :

ـ سيدتى ، إن الريح تطير صفحات كتابى .

ـ امسك الاوراق بمسطرة .

دفعت طفلة هزيلة اصبعها بتردد .

ـ سيدتى ، الريح القادمة باردة .
ـ البسى معطفك وتأملين كتابك .

أخفت الطفلة وجهها بذل فى الكتاب ، علت وجنتيها حمرة خجل ، بـدت كأنها ستجهش بالبكاء .

همس طفل من المقعد الامامى .
ـ سيدتى ، ليس لفاطمة معطف .

* * *

« البرد يتسرب الى عنقها ، يتسلل الى جسدها ، يلفه فى كفن من الثلـج وهى تقف أمام سواد السبورة ، تتحرك باتجاه الباب .

الساحة المسيبة بلا سياج قفر ، تلعب برملها وحصاها الريح . لا أحد يمر وينظر ، لا أحد يهتم .

« .. لا يمكن اتمام البناء الا بجمع الاعانات من الاهالى ، البلدية الشعبة ... أو ... » .

« قريبا ، قريبا ينتهى مشكل البناء ! » .. هكذا قيل . ولم ينتظر الشتاء ، هجم فجأة وحوصر الاربعون فى القاعة . أضحكت النكتـة الاطفـال فى الاول وألهتهم : قاعة جديدة ما زال الاسمنت على جدرانها ، خـالية من مصاريـع النوافذ وبلا باب : وحين طالت النكتة ملوها . ظلمة الاسمنت وتجهم السماء وصفع الريح الدائم يلغى حرارة كل النكات .

* * *

عادت تجول بين الصفوف ، تستأنس ألم البرد الذى بدأ يثقب صدرها ، تتحرك. تراقب، تفرك يديها ، تنصت الى قراءاتهم بانتباه مكسور.. عل الحركة تبعث الدفء فى القاعة المثلجة .

« سننشد أنشودة أخرى » .

يهب الاطفال واقفين ، توقظ الحركة الحياة على اجسـادهم ، المتجمـدة على المقاعد ، تنطلق الاصوات ، ترتفع ، ترتفع أكثر ، وتنفعل القلوب الصغيرة ، ويتسرب الدفء الى الاجسام ، ويعود النشاط .

علت الاصوات تتحدى البرد ، والجدران الاسمنتية والنوافذ الفارغة المكشرة وغضب السماء . وانسجموا فى نشيدهم وهم ينطلقون فى عذوبة نغماته أحرارا طلقاء .

* * *

أحست رذاذا على خدها .. استدارت ناحية النافذة العارية .. إنه المطر .. تتابعت خيوطه دقيقة تدفعها الريح من ناحية النوافذ . تكاثرت الخيوط .. تكاثفت ، وانهمر المطر غزيرا تدفعه الريح داخل القاعة . توقف الاطفال عن النشيد .. خرجوا من مقاعدهم .. تدافع بعضهم .. أبعدت أوراقها عن غضب المطر قبل أن تأمر الاطفال بالجلوس متلاصقين فى مقاعد الصف البعيد . لم ينته الوقت بعد ، كان الاطفال فى الطريق يجرون الى المنازل القريبة والبعيدة .

* * *

فتحت مطريتها وهى خارجة من القسم بأطرافها المصقعة ، تدعو البيت .

« البيت والدفء ، والكتاب والقهوة الحارة يتعالى بخارها » ..

« لن تخضع أكثر ! لن تواصل دور الانهزام الذى قبلته ! ستنهى اليوم كل شئ ! » .

المطر يرش مطريتها وذيل معطفها .. صدرها بدأ يؤلمها . يشتد الوجع كلما طالت الطريق .. وأنفها بدأ يرشح ، الالم يثقب الصدر ، يستقر فى أعماق القلب .

كيف رضيت وأسلمت نفسها لمجرى الهواء البارد ، تلطخ أصابعها بالطباشير ، وغباره يتناثر على معطفها ، والريح تلعب حرة بالاوراق والكتب ؟

كيف رضيت الرجوع ، بعد أن أرغمها المرض على الانطراح أسابيع على الفراش يهدد رئتيها ؟... ومع ذلك ، عادت .

تتحدى مجارى الهواء بالحركة والنشاط الدائب وخرافة حب الاطفال . وأسلمت نفسها لامتحان الموت .

* * *

ها هو البيت يستقبلها بوهج الدفء،ويعيد اليها شيئا من حرارة الحياة التى تكاد تفقدها . قبل أن تنام ، كانت ورقة عليها بضع كلمات تنام مطوية بعناية فى ظرف داخل محفظتها : غدا ، ستستقيل ! واحست بـراحة عميقـة وهى تقرر أمرا ، وتختار حرة طريقها ، وجسدها المنهك يغرق فى دفء الفراش .

★ ★ ★

لم تنتظر طلوع الشمس وتحسن الطقس ، بكرت للخـروج . تأكـدت من وجود مطلب الاستقالة فى محفظتها ، ارتدت معطفها وأضافت شـالا صوفيـا على رأسها .

لن تعود الى هناك .. لن تواصل دورها فى اصطبل حيوانات . بل الاصطبل أكثر دفءا . لن تعود ... سترمى الظرف فى صندوق البريـد ، وتهـرع الى البيت تعد قهوة حارة . تفتح كتبها المتروكة ، وتلتف فى غطاء ساخن وتراقب المطر يغسل الطرقات .

أسرعت خطاها .. مر حذوها أطفال يقفـزون ويتضاحكـون . أسـرعت خطاها . حولت عنهم بصرها .

حاذاها أحد تلاميذها :

ــ صباح الخير سيدتى .

ثم واصل سيره مسرعا نحو المدرسة .

سينتظرها هناك ، فى ساحة المدرسة ، مع أترابه . سيطـول الانتظـار ، وستلعب بشعورهم الريح أمام قاعة القسم ، ولن تأتى .

أحست بالاسى . أطردته قبل أن يغمر ذاتها المتعبة . طريقها اليوم غيـر طريقه .. أو ، قد يكون انتهى طريقها .. ابتلعت دمعة ترقرقت فى عينيها ، كادت تفيض على خدها ، وواصلت سيرها .

« البارحة حين وقفوا للانشاد ، تالقـت بسـرعة مـدهشة ، وجـوههم ، أضاءتها الفرحة ، وانطلقوا منشدين مترنمين ناسين البـرد الذى كان يخـز أجسـامهم » .

ولكنها لن تعود . جسدها يذوي يوما بعد يوم ،
وقريبا تحملها الرياح ، والكل منشغل عنها وعنهم .
اجتازها أطفال .
ـ « صباح الخير سيدتى » ، وابتسمت وجوههم البريئة .
ساروا أمامها ، ابتعدوا منشدين .
اتسعت ابتسامتهم البريئة فى خاطرها .

اندفعت كشلال الذكريات من كل مكان . وجوه أحبتها ورعتها ، ستبقى تنتظرها فى الحر والبرد ... تنتظرها ، وهى توليها ظهرها .

وحملت الريح اليها صدى أغنية الاطفال . كانت تسير ، مطربتها تقيها غضب السماء ، تسير ، وأصوات الاطفال المترنمة تقترب ، ومطلب الاستقالة ينام فى محفظتها .

تسير ـ كما اعتادت كل يوم ـ دون أن تدرى لتجد نفسها أمام المدرسة... مع الاطفال ... والشمس ترسل اليها من بين الغمام ، شعاع تحد جديد .

بنت البحر

دراسة أدب نجيب محفوظ

هذه الدراسة يضمها كتاب عنوانه : « **المنتمي** » من تاليف الدكتور : غالي شكري ، واصدار « دار الآفاق الجديدة » ببيروت فى 462 ص. من القطع الكبير ، الطبعة الثالثة .

من محتويات هذا الكتاب نقرأ : جيل المأساة ، ملحمة السقوط والانهيار ، المنتمي بين الدين والعلم والاشتراكية ، المنتمي فى أرض الهزيمة ... وغير ذلك من العناوين التى نجد الى جانبها فهرسا لكتابات حول نجيب محفوظ . تواريخ كتابة أعمال نجيب محفوظ . مراجع البحث ومصادرها .

نشكر الصديق الدكتور : غالي شكري على النسخة التى قدمها لنا هدية من كتابه القيم . ونرجو له التوفيق المتواصل فى مستقبل عطاءاته الادبية الزاخرة بروح الجدية فى البحث والتنقيب .

وللهوى جروح ..

شعر: رجب بن مهني

العَارُ .. كُلُّ العَارِ أنْ لاَ يُولَدَ الإنْسَانُ مِنْ جُرْحِ الجَرِيحْ
فَنَرَى الأَصَابِعَ وَالأكُفَّ تُمَدَّ قَهْرًا ... لاَ نَصِيحْ
وَنَرَى الضَّرِيرَ يَهُدُّهُ الدَّهْرُ العنِيدُ كَمَا يَشَاءْ
وَنَرَى الشِّتَاءَ يَدُكُّ أحْلاَمَ الضِّعَافِ .. وَنَسْتَرِيحْ
الشَّارِعُ المُكْتَظّ ،.. فِيهِ الطِّفْلُ يَسْأَلُ .. والتَّذَلُّلُ زَادُهُ
زَادٌ شَحِيحْ

العَارُ يَمْلأُ أنفُسَ الوَطَنِ المُعَذَّبِ فِي شَقَاءِ الأشْقِيَاءْ
يَحْلُو لَنَا شَرَفُ البَغَايَا .. مَنْ هَجَرْنَ العِرْضَ فِي الزّمَنِ القَبِيحُ
لِيَنَالَ مِنْهُ .. وَيَمْنَحَ الخُبْزَ المُضَرّجَ بِالدّمَاءْ
مِمّا تَجُودُ بِهِ القُرُوحْ

عَهْدُ العَبِيدِ نَقُولُ عَنْهُ : « قَدِ انْقَضَى » .
لَكِنَّهُ سَيْفٌ بِعَرْشِ حَضَارَةِ الدّنْيَا يُطِيح
تَبْكِي مَعِي .. إنْ شِئْتَ .. هَل نَفَعَ البُكَاءْ
فَاضْحَكْ وَقَهْقِهْ .. كَيْ يُدَوّي صَوْتُكَ العَالِي الفَصِيحْ
وَيَرِنّ فِي أُفُقِ السَّمَاءْ

أقْبِلْ على الدنْيَا وعُبَّ ، نعِيمَهَـــا !
النَّـــاسُ في الدّنيا جِيَـــاعٌ يأكُلُونَ .. ويَأكُلُونْ ..
شَهَوَاتُهُمْ نَـــارٌ يَزِيدُ لَهِيبُهَـــا
يقتَـــاتُ مِمَّا يَصْنَعُـــونْ
نَـــار تُبِيدُ هَشِيمَهَا ... ورَمَادُهَـا حقدٌ دفِينْ
إنّ الهَوَى مَسّ الجُنونْ
والنَّفْسُ أنْتَ طَبِيبُهَـــا ... فاسْأل بألاّ تَسْتبِدّ بِكَ السّنُونْ .

رجب بن مهني

دراسة أدب توفيق الحكيم

هذه الدراسة يضمها كتاب عنوانه : « **ثورة المعتزل** » من تأليف الدكتور غالي شكري ، واصدار « دار الآفاق الجديدة » ببيروت فى 336 ص. من القطع الكبير ، الطبعة الثالثة .

يحتوى الكتاب على ثلاثة أقسام تتوزع فيهـا العنـاوين حسب معطيات الدراسة نذكر منها : ثورة المعتزل فى البرج العاجى ، رحلة العمر ، فنان الحياة راهب الفكر ، المفكر المتعالى ، المفكر السياسى ، عودة الروح الى الرواية المصرية ... الى غير ذلك من عناوين لدراسات قيمة . الى جانب الفهـارس ومصـادر البحث ومـراجعها العـربية والفرنسية والانقليزية .

نشكر الصديق الدكتور : غالي شكري على النسخة التى قدمهـا لنا هدية هامة ونرجو له من الاعماق مزيد العطاء وتواصـل البحث خدمة منه جادة لأدبنا العربى .

المشاكل التعبيرية في الشعر العربي الحديث

بقلم : محمد الغزالي

مقدمة :

إن الحياة أرحب وأشمل من الشعر ، فهو في مواضع عديدة يلفى نفسه عاجزاً عن الاداء وتسقط الاسطورة فيجد الشاعر نفسه مكبلا بواقعه لا النثر ولا الشعر يستطيعان تخليصه مما يعاني وتبقى افكاره حبيسة ذاكرته حتى تمحي أو تترجم بفعل اذا كان ذلك في حيز الامكان .

وليس كل ما يؤرق الشاعر قابلا للتدوين ، واللغة اصلا ليست سوى اصطلاح نسبي الفاعلية في نقل الاحساس أو المعاناة ، واذا كان الكلام مقصرا في نقل الفكرة فان وجوده يصبح عبثا ويكون الصمت بليغا يحمل بين طياته الكلام المتوقع ، ويستطيع السامع او القارىء الذى يترقب ان يستشف رموزا وافكارا تلائم طريقة تفكيره وتتماشى والموقف الذى ألفه من المتكلم أو الباث .

كان الشاعر الجاهلي اذا احس بفكرة تؤرقه يصوغها شعرا أو نثرا في قالب خطبة وفي كثير من الاحيان قد يكون مرتجلا ، اذا كان حماسيا ملحميا يتغنى بالبطولة والانفة وشدة البأس . وما ان حل الاسلام حتى اصبح الشعر أقل التصاقا بذهن العربي ولم يعد المنبع المعرفي الاول ، لكنه تحول الى وسيلة تعبير من بين وسائل أخرى على انه ظل في تلك الفترة محتفظا بصدق المعاناة خصوصا البدوى منه . وجاء عهد الخلافة العباسية بعد تقويض ملك بني أمية فاضحى كل شيء خاضعا للصنعة . وتحول اغلب الشعراء الى صناع ووضعت قواعد تحدد الشعر و « تخلص جيده من رديئه » على حد قول قدامة

بن جعفر (1) . ووضع الخليل علم العروض ليقول للشعراء ان الشعر ليس كل ما يتبع النمط القديم ويحتوى على صدر وعجز بل ان العنصر الاهم فيه هو تواتر التفعلية واعادتها حسب البحر المتوخى . ووجد الشعراء أنفسهم مرة أخرى خاضعين لذلك التقنين . واجتهدوا كي يقولوا شعرا هو أقرب ما يكون الى تحديدات الخليل ، وفى مطلع القرن التاسع عشر كان شعراء « النهضة » يحاولون احياء الشعر والعودة الى الاصول ، وكان شعرهم نسخة باهتة من شعر جرير والفرزدق وبشار والمتنبى والشريف الرضى والمعرى وكان الانفصام واضحا بين حياتهم اليومية وتجربتهم الشعرية ـ ان صح انهم كانوا يعانون ـ وبقيت اجسامهم فى الحاضر فى حين ان افكارهم وشعرهم ظل متشبثا بالماضى البعيد (2) .

وجاء جيل آخر وبقى كل شىء على عواهنه ، وبقى شوقى ومطران وحافظ والرصافى يقولون شعرا قديما ويلبسون الحياة اليومية رداء قديما ليس فى وسعه ان يقيها الغوائل بل ان يزينها ويضفى عليها جمالا . وكان رد فعل العقاد والمازنى فى « الديوان » (3) ، منطلقا من الحرص على الصدق الموجب للتجديد وقد عابا على شوقى اغراقه فى التمسك بالتجربة القديمة بالرغم من ان المعاناة والمواضيع التى تشكل شعره ، حاضرة ومعاصرة .

وحاول جماعة « أبولو » وعلى رأسهم احمد زكى أبو شادى ، ان يضفوا مسحة جديدة على طرق موضوعاتهم وكانت اشعار علي محمود طه ، وابراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل خاضعة للاوزان القديمة بالرغم من جدة المواضيع وطريقة معالجتها

اما شعراء المهجر ، سواء اعضاء الرابطة القلمية بشمال أميركا أو العصبة الاندلسية بالبرازيل ، فقد قاموا بمجهودات كبيرة على مستوى الشكل ـ نلاحظ ان الشكل والمضمون وحدة لا تتجزأ ـ فلم يلتزموا نفس القافية وكان شعرهم اشبه ما يكون بالشعر الاندلسى فى أواخر ايام العرب بها . اما

(1) كتاب « نقد الشعر » قدامة بن جعفر .
(2) أدونيس ، الثابت والمتحول ـ الجزء الثالث : صدمة الحداثة ، دار العودة بيروت ، الطبعة الثانية 1979 .
(3) الديوان فى الادب والنقد ـ عباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى ، الطبعة الثالثة ، دار الشعب .

الموضوعات التى طرقوها فكانت جديدة ونابعة من الهموم التى يعيشها اغلبهم فى الغربة ومن تأرجحهم بين الاقامة والعودة الى ديارهم ، وقد اسهموا فى تطوير التجربة الشعرية ومهدوا لظهور حركات اخرى على هذا الصعيد .

وكان هؤلاء فى قمة العطاء عندما انبثقت فى الاربعينات حركة جديدة سميت بحركة « الشعر الحر » واختلف النقاد فى تحديد رائد هده التجربة كما اختلف الرواد أنفسهم.فهناك من يعد بدر شاكر السياب أول من كتب قصيدا حرا«هل كان حبا»،وآخرون يقولون ان الاعتماد فى اظهار صاحب هذا التجديد يجب ان يتم بأعتماد تاريخ كتابة لا تاريخ ظهور القصيد ، وادعت نازك الملائكة ، ان قصيدها « الكوليرا » هو أول قصيد فى الشعر الحر ، تقول صاحبته انه من الوزن المتدارك (4) . ومهما يكن من أمر فان التجربة لقيت صدى بعيدا فى أوساط المثقفين كما هوجمت من قبل بعض المتشبثين بالقديم المتسترين برداء الاصالة والمحافظة على التراث .

وبقي هؤلاء الشعراء يكتبون على الطريقة القديمة ويمعنون فى التجريب حتى ارسوا قواعد «الشعر الحر»،وردا على بعض من ظن أن الشعر الحر لا يخضع لقواعد وليست له اية تحديدات ، قال نزار قباني قوله الشهير : « من يحاول فك وتر العود عن العود لم يبق منه الا قطعة خشبية كل ناقر عليها يستطيع ان يحدث صوتا » ، ليثبت لهؤلاء أن مركبه صعب وانه يخضع للتفعلية ويعتمد الوزن وان الايقاع جزء لا يتجزأ من ماهيته .

وبالرغم من ان احمد الصافى النجفى والجواهرى وبدوى الجبل عارضوا هذا الشعر بشدة ، فانه اثبت لهم قدرته على الاستمرار والعطاء كما اصبحت عدة موضوعات خاضعة له ولا يلين جانبها للشعر العمودى الذى عجز عن المواكبة الكلية لمختلف الموضوعات التى جدت بتنوع الحياة ذاتها . وما كادت تمر سنوات معدودات حتى رسخت اسس هذا الشعر وراح شعراء أمثال السياب ونزار قباني والبياتي وبلند الحيدرى وفدوى طوقان ثم بعدهم بقليل الفيتورى، وصلاح عبد لصبور ، والخال ، يبدعون ويؤكدون بلا لبس بأن الشعر الحر قادر على الاستمرار وانهم يبزون فى أغلب الاحيان انصار القديم ورافضى التجديد .

---

(4) نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ص 35 ، دار العلم للملايين ـ بيروت 1978 .

وكان من بين نتائج ظهور الشعر الحر ردود عديدة على مستوى الابداع نذكر منها المجموعة التى طلعت على الحياة الادبية بما اسمته « فى غير العمودى والحر » ، ولعلها كانت مدفوعة بدافع الحرص على التجديد شكليا ، لان المواضيع المطروقة بقيت تحمل مضامين مألوفة ، واعتقد بانها كانت تلقائية وتميل الى السهولة لان التحلل من الايقاع والوزن كليهما يتيح السهولة دون التقيد بهاجس الابداع الحقيقى ، وقد تجاوز هذه النظرة الكثيرون وبقي بعضهم من روادها يؤصلونها ويدافعون عنها كبديل حتمي لما كان عليه الشعر آنذاك من تأرجح بين التقليد والتجديد المحتشم .

أما أدونيس فانه ما انفك يعمل لتفجير اللغة الشعرية والبحث عن أشكال تتماشى والشعر الجديد الذى اسماه « قصيدة النثر » ، فثارت ثائرة بعض المقنعين برداء الاصالة والمحافظة على قداسة الشعر ، واشفق آخرون على جهود أدونيس من التلاشي . حتى ان نازك الملائكة تقول ان هذا « بدعة غريبة » ثم تضيف : « والحقيقة التى يعرفها المختصون والمتتبعون ان طائفة من ادباء لبنان يدعون اليوم الى تسمية النثر شعرا » (5) .

ولكن علي أحمد سعيد (أدونيس) ، اثبت لهم عبر كتاباته المتواصلة ان هذا النوع الشعرى يفرض نفسه فرضا ، ولم تمض بضع سنوات حتى كان الشباب وحتى بعض الشعراء الرافضين أنفسهم يكتبون « قصيدة النثر » مؤمنين بجدواها وقدرتها على تفجير اللحظة الشعرية عبر الكلمة ونذكر هنا جهود « انسي الحاج » فى هذا المجال وتعريفاته فى ديوانه « لـن » وقصائده الشهيرة المثبتة فى هذا الديوان (6) ، واصبحت جماعة مجلة « شعر » قبلة النقاد والباحثين عن الجديد بكل اشكاله . والآن وبعد ان انقضى « جيل الستينات » ـ ان صح التعبير ـ علاوة على جهود شعراء الارض المحتلة مثل محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد واحمد دحبور وعلي الخليلي ، فان شعراء السبعينات ما زالوا بين متشبث بالشعر الحر ورافض له بتبنى قصيدة النثر ، وبين باحث عن شكل جديد يصب فيه افكاره ويؤطر عبره شكلا جديدا يرضى ميله الى التجديد والابتكار . ويجدر بنا ان نذكر هنا ان « النهضة الشعرية » أو تأصيل التجربة ، ليس خاضعا لنفس المقاييس ولا هو يتبع

---

(5) قضايا الشعر المعاصر ، ص 213 .
(6) انسي الحاج ، ديوان « لـن » دار مجلة شعر ـ بيروت 1960 .

نفس الوتيرة من بلد الى آخر ، وحين نتكلم هنا فاننا نأخذ بالدرس مجموع التجارب وتفردها ، معتبرين الساحة الادبية العربية واحدة والاثراء الذى يلحق مجموعة فى بلد ما انما هو جزء من حلقة كبيرة لها اواصرها فى كل جزء من الوطن العربى ...

والآن وبعد هذه الخلاصة السريعة نرى من الاكيد طرح السؤال : ما هى المشاكل التعبيرية العامة فى الشعر الحر كنمط جديد ـ نسبيا ـ فى الكتابة الشعرية ؟

قبل الخوض فى محاولة الاجابة عن هذا السؤال ، نرى من المفيد توضيح المقصود « بالمشاكل التعبيرية » ، ثم اثبات وجودها ومن هناك الخلوص الى طرحها بعد ذلك .

(يتبع)

محمد الغزالى

أغنية للوطن الحلم *

شعر: كمال قداوين

أغنّيكَ .: لاَ طَيْرَ يَهْزِجُ باللَّحْنِ .:
لاَ سُحُبَ تَهْطِلُ بالمُزْنِ ..
لاَ أفقَ يَشْأرُ للحُـــزْنِ ...
يَا وَطَناً لَيْسَ يَتَّسِعُ اليَوْمَ صَدْرُهُ
للَّحْـــنِ ..
للمُـــزْنِ ..
للحُـــزْنِ !

يَا وَطَناً لاَ مَجَالَ لخفقِ الأغَارِيدِ والأمنياتِ لَدَيْهِ
وَلاَ طَعْمَ للأغْنِيَاتِ لَدَيْه
وَلاَ شَيْءَ فيمَا مَضَى كَانَ مِلْكَ يَدَيْهِ
يَعُودُ إليْـــهِ !..
أغنّيكَ للمَقْتِ فِيكَ أغنّي
وَللزّمَنِ المُتَعَانِقِ بِالهَمِّ وَالفَرْحَةِ الوَاجِفَهْ
وَأرْسِلُ صَوْتِي مَعَ النَّارِ وَالرّيــحِ والعَاصِفَـــهْ !
لِتَطْلَعَ أشْجَارُ دِفْلَى بِكُلِّ الزّوَايَا .: بِكُلِّ جِدَارْ
وَتَزْهِرَ جَدْلَى عَلَى سَفْحِ أشْعَارِنَا الرّاعِفَهْ
وَالحُرُوفِ المُجَلاّةِ بِالدّمْعِ وَالنِّقْمَةِ المُشْتَهَاةْ

هُوَ الوَطَنُ العَرَبِيّ يُسَافِرُ في اللانِهَايَةِ ،
يَلْبَسُ شَكْلَ المخَافَةِ والإنْدِثَارْ .
يَفِرّ بِجِلْدِهِ يَعْدُو وَحِيداً ..
تُقَطِّعُ وَجْهَهَ كُلّ السَّكَاكِينِ
تَعْدُو عَلَيهِ القَبَائِلِ لَيْلَ نَهَارْ !
هُوَ الوَطَنَ العَرَبِيّ يُغَطِّي رؤاه الجَرِيحَةَ
طَعْمُ الهُمُومِ وَطَعْمُ الشَّقَاءْ !...
يُغَنِّي عَلى نَخَبِ الغَارِقِينَ بِبَحْرِ الظَّمَا
يَسْتَرِيحُ على الشوْك والذّكرَيَاتِ الجَمِيلَهْ
وَيَرْقُدُ فَوْقَ رفُوفِ الخليفَةِ يَحْتَرِفُ الجُبْنَ
يَرْقُصُ دَوْماً على نَغَمَاتِ الدّفُوفِ كَمَا يَشْتَهِي
أمَرَاءُ الطَّوَائِفِ والاعْتِبَارْ .
هِيَ الأرْضُ يَا وَطَنَ الظَّامِئِينَ لِفَيْضِ المُحِيطَاتِ
تَرْسُمُ تَاجَ المَحَبَّةِ والعِشْقِ .
تَشْتَاقُ للضَّوْءِ يَمْتَدّ حَتَّى انْتِهَاءِ المَسَافَاتِ
حَتَّى امْتِزَاجِ المُرُوءاتِ بالشَّمْسِ ...
يَا وَطَنَ الشَّمْسِ هَا إنَّنَا الآنَ نَحْنُ نَقُولُ :
مَلَلْنَا الوُقُوفَ عَلى سِكَّةِ الانْتِظَارْ ..
وَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ هَذِي التَفَاهَاتِ زَادٌ،
وَهَذِي الدّرُوب القِفَارْ
وَلَيْسَ لَنَا غَيْرَ حُبّ الفِرَارْ
وَغير رُؤَى الوَهْمِ والحُلْمِ والاضْطِبَارْ !
وَنَرْجُو مِن الصُّبْحِ يُشْرِقُ وَعْداً
يُجَلْجِلُ رَعْداً

وَيَضْرِبُ للعَاشقين لِدُنْيَا الهوَى والمُنَى
مَوْعِداً لطُلُوعِ النَّهَارْ
هَل الفَرَحُ المُتَأَهِّبُ للقَصْفِ والعَصْفِ هَذَا الذي
يَسْتَعِيدُ جناحيه ، يَبْسُطُ أذْرُعَهُ الدَّامِيَهْ ..
وَيَلْبَسُ تَاجَ التَّمَرُّدِ ..
يَأْخُذُ شَكْلَ التَوَحُّدِ والانْتِصَارْ ،
لِيَنْتَفِضَ الظُّلْمُ وَالرُّعْبُ ،،
تَنْهَمِرُ الأَرْضُ بالطَّلْقِ ،
يَنْقَطِعُ الوَصْلُ بَيْنَ التَّصَاعُدِ والانْحِدَارْ !...
أنَا الآنَ أسْلَمْتُ للحُبِّ قَلْبِي
وَللخِصْبِ دَرْبِي
وللوَطَنِ — الحُلْمِ حُبِّي
وَطَاوَعَتْ مِنْ أجْلِ عِشْقِي الرُّبُوعِ الجَمِيلَةَ
حَرْفِي وكُتْبِي ...
خَلَعْتُ عَنِ الدَّوْحِ جَمَّازَةَ القَحْطِ وَالعُرْيِ
والأفْرعِ الذَّابِلَهْ ...
نَشَرْتُ لِكُلِّ الأعَاصِيرِ أوْرَاقَهَا ،
وَظَفَائِرَهَا المُسْبَلَهْ !
لِكَيْ يُزْهِرَ الوَرْدُ فِي غُصْنِهَا
وَيُعَرِّشَ بَذْرُ المَحَبَّةِ فِي جِذْعِهَا
غَابَةً مِنْ أنَاشِيدَ
تَطْلُعُ مِنْ رَحِمِ السُنْبُلَهْ !

كمال قداوين

مسرج دربك بالضوء *

ابداع : محفوظ الزعبي

أفتح ثغرة حبي وامتناني
فى جدار قلبك الذى يناجينى
طافحا بالفرحة الكبرى
وانبلاج النور فى سهل التمنى
والتشفي
ورصاصات الحمائم التى ودعتها
فى فراغاتى
وكسوف الامل ، وضراوة يأسى ،
أفتح لك عناقيد فتونى ..
وشبابيك ضيائى ..
وانتعاشاتى ..
وتفتق عوالمى وأكوانى ..
وتناغم الصدى المعمق فى ذاتى
بلسم شهدك ما زال يغذينى
عسل اصطبار
إنه برزخ نوارسك المغتسله
بانبهار الليلة التى أشتهيها
فى انتظار « مطلع الفجر .. »

* * *

يحلم الطلع بشمس « القادسيه »
يلبس دفء النهار
وعباءة المطر الغافى
ينفجر لونه المدوخ عبر المزاريب
ينزع ملح الصحارى
يسحب من المدينة اللقيطه
عفن التاريخ
وقذارة الظلام والأزقه
يا مطر الصيف والقوافل المجوعه
تتفتق غيومك وتكشف عن جمالك
كان عريك أغاريد البلابل
وشرارة من عيون الصبايا ...

* * *

كانت الحقول جافة بلا سحاب
منكمشه
فى دغل الحزن والوحشة ، ولحظة
بلحظه
تلبس عباءة الافراح
يمتزج وجهك بمطر المواسم الخضراء
قزحيا ، يلثم حلم العصافير
وأهازيج الضفاف المتوامة مع النهار
مسرج دربك بالضوء
متشح برياحين الخزامى
مورق بالزعتر والاقحوان ...

عسلج القمر يهبط نديا
حاملا شهادة عشق
ومصابيح محبة وتمائم
ربما فى ليلة القدر يتنزل
ماسحا وجه الغموض فى البحار
يتناسق كل شيء
يتعرى العمق وتحبل الشواطيء
بالخرز المستضيء والمحار
جرجرة الماء فى كفيك أغان
تذبح صمت البحيرات وأنهار الليل
يتجرد الشجر من سكونه
فى وليمة التفجر
كان حبك اغتسال التفتق ...

* * *

سرمدي أنت بلا منازع
عاشق معشوق
طافح ، يعانق شلالك انتظارى
فى مساء الوحشة والندم
تنسكب فيوجعى بلسما..وواحة ضياء
كان حشيشك أقراص النجوم
وغيوم الجدب والتأزم
واقتناص المحار عند الغسق
منبهرا بين يديك
لؤلؤة منسكبه
كان وجهك مرايا
تتلقى فيها الصور الابديه
ذلك الفيروزج الوضيء
إنه وجودك الراسب فى ذاتى
ينبض بأسرار الحياة
وهو أعمق بكثير
من أخاديد المحيطات ...

* * *

إن بساتينك لا تعرف نهايه
تعبق فيها الخزامى
ويتنفس فيها الزعتز الذى يعاهدنى
بالنقاوة التى أعرفها فيه
بشمائل النباتات التى تعانقنى
فى براريك المشبعة بالعفة
وغدران المحبه
كفراشة خيالك أو مطر
يخلع عنه الغمام
عاصرا نهديه بكل حنو الأمهات
يتبرعم الجنين فى رحم السماء
وتمر ساعة الخطر
فالولادة تازف بالبشرى ...

* * *

أى « جيرالدا » ؟
وهرم المعجزات ؟
أى أسوار لبابل
وسباع حول نافورة غرناطه ؟
أى شيء يمكن أن يقدس ؟
ليس أغلى من رصاصة البلح المشتهى
فهى أسفنج المحبه
يمسح وجه التلوث
كان شواظ الرصاصة سلاما ..
واخضرارا أبديا
كان عنقود وفاء .. وهديه ..
كان نورا يتخطى وعراجين ضياء
وأبابيل انفجار وتحد وسباق
ومفاتيح خلاص وانعتاق
كان بردا وسلاما وثمارا للقضيه ...

* * *

أقرأ عنك كثيرا وكثيرا

في دفاتري ومجلاتي
أنسخ أسماءك الحسنى
بصمغ العشق والشهاده
اشرب من لونك نافورة ظلال ..
ومحبه ..
وعصافير غناء
في مروج الشفق الذي يناديني
وبراري وجهك المعشوشب الدافيء
ينضح الشفاء
في وهج الومضة الاولى
من رصاصات الزنابق
وانقشاع الصمت في ليل الموانيء
والثلوج ...

بلسم عينيك يسقيني
في ظمأ الزمن العاتي
وانا أفتح قلبي لأضم صدرك
عبر أيامي
وهشيم الذكريات
مدك في منتهى الروعة يغني
عاصفا بالموت والاوهام
مدك الصارخ في عمقي
وشراييني
وتدفق هيامي
هو أقراص شفائي
وكتاب الحصن الحصين ...

محفوظ الزعيبي

* * *

ما هي الثقافة ؟

شأن الثقافة كشأن الرياضة ، ولا أعني رياضة العجرفة والضرب والشتائم والتحطيم والهمجية بل أعنى التربية الرياضية التي تنصرف الى الروح وتهذب العضلات وتروض البدن حتى يخضع للضمير وللارادة ، ولا أعنى بالثقافة الدروشة و « التخميرة » والضرب على البندير والطار ، إن الثقافة التي أقصد هي تلك التي تملأ الفراغ وتغذى النفس وترفع مستوى البشر وتخرجه من بحرانه الحالي الذي هو الظاهرة الكبرى .. وقد كتب فيها أكبر المثقفين والمفكرين .. وأعتقد تبعا لذلك أن أهمية دور الثقافة سيتضاعف في المستقبل .

الامضاء : محمد مزالي

حصاد السنين

قصة : فتحية العروسي

قد فاضت الدنيا بأدناسها عـلى براياها وأجناسها
وكل حي فوقها ظالم وما بها أظلم من ناسها

« أبو العلاء المعري »

تطلعت الى المرآة بعينين مغرورقتين عندما سألتها ذات يوم عن هذا القناع الاصفر الذى كسا وجهى منذ زمن طويل وعن هذه الخطوط البارزة التى أخذت طريقها الى صفحة جبينى العريض ...!! فاجابتنى من خلال دمعة حائرة فى العين الحالمة وبسمة ساخرة على شفاه جافة أتبعها التمثيل فى الدرب الطويل ...!!

أعدت السؤال من جديد .. كان بى شوق الى من يشفى غليلى بجواب .!. توسلت اليها كى ترحمنى وتعيد لى صورتى الاولى ... تلك التى اغتصبتها منى السنون العجاف فى يوم عاصف .

كان ذلك ذات مساء عندما كشر الزمن فى وجهى وبانت لى أنيابه اللعينة ، فانقض علي فى شراسة .. صرخت وتعالى صراخى فلم يسمعنى ، أفقت من الغيبوبة ذات يوم فلم أجد جناحى ، نظرت الى جسدى فوجدت آثار الدماء ما تزال تخضبه ...

بدأت أزحف ببطء نحو المصير المجهول بلا جناح ...!!

انقضت السنة الاولى قاسية .. حالكة .. بلا نور ... سوى السحب الدكناء ... كانت سنة كفاح متواصل أقضى طيلة اليوم فى المكتب .. ولكن عندما أعود الى المنزل أجد اخوتى بانتظارى ويطالعنى وجه أمي مقطبا كئيبا .. حزينا .. فيزداد شقائى وحسرتى على فقدان والدى ... ومع ذلك لا تفارق البسمة شفتى يوما رغم سطور الجبين ...!! ومرت السنون التسع كأوراق الخريف تحمل لى فى راحتيها الاعمال المضنية وتذهب كل واحدة بجزء من صحتى وشبابى ...

أفقت ذات يوم .. بعد أن مرت التسع سنين ... نظرت حولى فلم أجد أحدا يملأ وحدتى يمسح دمعى وينسينى ذلك الجناح المفقود الذى لم تندمل آثار قطعه بعد ...!!

الغربة النفسية كتبت علي منذ ولادتى .. لم أكن أجد الحنان لدى أمي ولكن أبي كان يغدق علي بسخاء ويعوضنى ما أفقده من الطرف المقابل . والآن ...؟؟

ألتفت حولى فلا أجد سوى آثار الجناح المفقود ، انها لم تندمل رغم مرور السنين التسع . أتعجب لاخوتى كيف اندملت آثار أجنحتهم المفقودة ؟ كيف استطاعوا الطيران بلا جناح ...؟!

ولكن أتذكر سريعا أننى كنت أساعدهم على ذلك كنت البلسم لجرحهم العميق .. كنت أنفق فى سخاء دون أن أفكر فى الاخذ ... أنفقت من صحتى .. من شبابى .. من دمي .. حتى دمي امتصوه وكنت مغتبطة بذلك .. كنت غبية .. حمقاء لدرجة الشذوذ ...

قال لى زميل ذات يوم عندما شاهد دمعتى وأنا أحاول اخفاءها بابتسامة كاذبة رسمتها على شفتى :

– فكرى فى نفسك قبل فوات الاوان .

نظرت اليه فى لامبالاة وقلت له :

– ومن سيفكر فى أمر اخوتى ان انشغلت أنا بالتفكير فى نفسى ؟!
– ولكن ... الشباب يمر كما تمر الثوانى فى عقارب ساعتك .
– لا يهم ، ما دمت قانعة بنصيبى فى الحياة .

ـ ستندمين فى يوم ما .
ـ ولم الندم .. ما دام ضميرى مرتاحا ؟
ـ ستندمين عندما يمر الربيع دون رجعة ولا تجدين حولك أحدا .
اغرورقت عيناى دموعا ولكن البسمة أخفتها قبل أن تنزل وتبلل وجنتى .
ـ ماذا أفعل اذن ؟ وبالتالى ما هو الشىء الذى تريدنى أن أفعله ؟
ـ أن تضمنى مستقبلك الى جانب التفكير فى مستقبل اخوتك .
ـ لا أستطيع ... الحياة قاسية لا ترحم وكذلك البشر .
ـ تذكرى كلامى ولا تضيعى الفرصة ... انها لا تعود وكذلك الربيع ...!!

خرجت من مكتبى والاسئلة تطاردنى .. تحفر رأسى وتقتل الابتسامة على شفتـى .

لم أكن أدرى أينا المخطىء وأينا المصيب ومع ذلك .. رفضت أن أنظر الى المرآة ... كنت أتجنب رؤيـة الذبـول فى ربيـع الحيـاة أصبحت لا أرى الا صورة واحدة تعكس لى صورة اخوتي وأمي يحملهم القارب بلا مجداف ...!!

حاولت جهدى أن أكون المجداف ... كى لا تحملهم العاصفة عبـر الامواج الثائرة فتحطم القارب وتبعثرهم هنا وهناك .

ونجحت فى خطتى التى رسمتها ...!! لم أشعر بعبء المسـؤولية الثقيـل الملقى على كاهلى اعتنقت المثالية المطلقة فهجـرنى النـاس وحتى اخـوتى .. أسعفتهم بدمي لتندمل جروحهم وتركت جرحى يأكل من جسدى النحيل ... بلا مجداف واصطخبت العواصف وتحطم القارب ... بعثرته الامواج هنا وهناك وحاولت جهدها أن تبتلعنى ..

أرادت أن تحملنى قربانـا الى الاسمـاك ... ليعود الهدوء الى البحـر ... تشبثت بخشبة لا خوفا من الموت ، فلا شىء يشدنى الى الحياة .. وانما رفضت أن أكون طعاما لاسماك ، تنهش جسمي وأنا أنظر اليها دون أن أفعل شيئا . كانت خشبة يائسة مثلي ولكنها استطاعت أن تحملنى كما تحمل الأم وليدها.. ضمتنى اليها واقتربت بى الى ساحل البحر . رمت بى على الرمـال السـاخنة تحت أشعة الشمس ... نظرت حولى .. تفرست فى الوجوه المحيطة بى فلم أجد

وجها أعرفه ، غريب أمر هذه المدينة قد تكون الخشبة ابتعدت بي دون أن أشعر .. لا أذكر سوى الامواج الصاخبة التى كانت تتسابق خلفى.. تتحدانى فى عنف .

النغم ينبعث الى مسمعى فاترا يزيد فى شرودى وانقباضى ... والشمس تنتحر بين طيات السحب الدكناء تاركة المكان للرذاذ الذى ما انفك يتهاطل من حين لحين .. أنظر الى السماء من خلال النافذة ، فتعود النظرة الحالمة التى كانت تبعث الدفء فى النفوس الي وقد أنهكتها دموع السنين ...!!

أمسك بالقلم ، أحاول أن أحصد ما زرعت طوال هذه السنين فلا أجد سوى الجدب .

الصوت ما يزال يردد ذكريات الصبا ... ينبعث الى مسمعى فاترا .. يائسا ، لعله هو الآخر قد انهكته السنون مثلي ، فأخذ يجتر تلك الاحلام عله يشبع احساسه منها . لقد وجد سلواه فى تلك القيثارة يتمادى صوته معها مترنحا كما تتدحرج المياه من أعلى الجبل ... ومع ذلك وجد سلواه كما أجدها فى هذا القلم الذى بين أصابعى وهذه الاوراق التى تملأ عني وحدتى .. القلم ما يزال يترنح فى مشيته كما يترنح السكران بعد أن يفرغ قارورة الخمر فى أحشائه . هو الآخر يريد أن يستريح .. لقد تعب كثيرا ومع ذلك لم يتركنى .. لم يتنكر لى كما تنكر لى كل البشر ... انه الصديق الوحيد ، رفيق وحدتى فى هذه السنين التسع التى امتصت مني الرحيق كما امتصت الاوراق مداده وتركته يتلوى بين أصابعى ، لا حول له ولا قوة .

السنة تلفظ أنفاسها الاخيرة .. لم يبق لها سوى يوم واحد وتنتهى .. النهاية ..؟! نهاية الـ .. نهاية .. كل الاشياء الجميلة سريعا ما تنتهى الا سخف البشر وجشعه لا توجد له نهاية فى قاموس هذه الحياة سخف تتوارثه الاجيال منذ زمن بعيد لا دواء له ولا نهاية له ...

الشموع التى تنير سريعا ما تنطفيء وكذلك الشمس سريعا ما يغمرها المغيب فينتحر الضياء فى بؤرة السواد وكذلك السنون الجميلة سريعا ما انطوت ولم تترك لنا سوى حفنة من الذكريات اعتنقها دفترى لحظات صفائه وانشراحه ، هو الآخر أصبح يشمئز من الدموع ومن السواد القابع فوق

صدره ... لقد امتلأ صدره من فظاعة البشر وسخفه .. لم يعد يريد تلك القصص المؤلمة التى ما انفك يسردها على مسمعه . يرفض حتى تسجيلها فى صفحاته .. أصبح يوصد الباب فى وجه القلم كلما طرقه .

السنة تلفظ أنفاسها الاخيرة مع كل يوم وكل ثانية من ثوانى الساعة التى تقيدنا بعقاربها . الطريق يتمطط أمامى وأنا أجر خلفى التسع والعشرين سنة ... أجرها خلفى كما تجر الدابة حملها الثقيل ...

الشارع مقفر الا من بعض المارة مبعثرين فى الطريق الطويل الممتد أمامى كالثعبان ... كم أمقت هذا الطريق الطويل الذى أدمى رجلى منذ زمن بعيد .. لقد تعاقد معهما طيلة تسع سنوات ولا يزال ... انه حريص على تجديد تعاقده فى مطلع كل سنة . فتضطر الى الخضوع مكرهة .

ترى متى سيتركهما تذهبان حيث يحلو لهما دون قيد أو التزام ؟!...

حتى قلمى أصابه الجفاف فتوقف زمنا طويلا عن رى أوراقى التى استحال بياضها الى اصفرار ... هى الاخرى أصابها جفاف السنين التسع الجدباء ...؟!

الليل والطريق وأنا وأوراقى وقلمى .. تائهين ..فى بحور التسع سنين بلا مجداف ...!!

هذا الطريق الطويل المقفر الا من صدى أقدامى تقرع رأسى من شدة ارتطامها بالرصيف الكل فى سبات حتى الحديقة التى تعودت رؤيتها مستيقظة ضاحكة فى وجه زائريها تفتح صدرها الرحب لمن يقصدها فتروح عنهم وتمسح عن جباههم بنسيمها الرقيق غبار الزمن ...

كم طرقت بابها وأنا متعبة قد أنهكنى الطريق واذا بها تفتح ذراعيها لاحتضانى كالأم الحنون . افترش عشبها الاخضر بجانب المياه العذبة التى ما انفكت تروى الظامئين وتدفع عنهم جفاف السنين ...

تمد الازهار اعناقها الطويلة لتسمع حكايتى مع السنين والطريق الطويل ... يرويها قلمى المجهد المسكين ....!!

فتحية العروسي

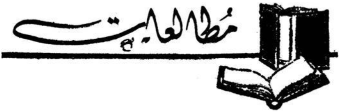
قصيدة حب ...

شعر: نور الدين فارس

أحببتُ فيكِ تفتّح البسماتِ   وجدائلا تسرى مع النسماتِ
أحببتُ فيكِ براعمَ الآمال وهي   تلوحُ لي في سائرِ القسماتِ
أحببتُ في شفتيكِ أعذب نغمة   سحريَّة تنساب كالهمساتِ
أحببتُ في عينيكِ فجرًا حالما   يهفو بشوقٍ للصباح الآتي
أحببتُ فيك الحبَّ حين تحرّكت   نبضاتُه من بعد طول سُبُتاتِ
فأخذتُ أرسم عالما في خاطري   وأزين بالحلم الجديل حياتي
ومضيتُ نحوك أسأل الأيام عن   دربي الطويل وعن مدى خطواتي
وكتبتُ أشواقي إليكِ قصيدةً   دبّجتها بنفائسِ الكلماتِ

* * *

لا تسألي عن صدق أشعاري فلو   لا الصدق كنتُ صديقتي لم آتِ
لا تسأليني عن بقايا الأمس إنـ   ـني قد دفنتُ الأمس في الحسراتِ
أحرقت كلّ رسائل الأوهام فهـ   ـي تعيد لي صورًا منَ المأساةِ
ومحوتُ كلّ الذكريات فلم أعدْ   أجترّ ما عانيت منْ أزماتِ
وأتيت كي احيا بقربك أجملَ الأ   يام والساعات واللحظاتِ
ما كنت أعلم أنَّنِي ألقاكِ منْ   بعدِ العواصفِ والزمان العاتي
لكنها هي حكمة الاقدار حيـ   ـن تمدّ للغرْقَى حبالَ نجاةِ
فلتقبليني في حياتكِ شاعرا   ولتصفحي عنْ سالِفِ الهفواتِ
ولتجعلي بيني وبينك موعدا   تحلو بمولدِهِ السَّنِيّ حياتي



لماذا ستطأ الأقدام العربية المريخ

تأليف : الدكتور المنصف المرزوقي

عرض : محسن بن حميده

كتاب قيم للدكتور المنصف المرزوقي صدر عن المؤسسة المغربية للصحافة : منشورات دار الرأى فى طبعة جيدة لكن بدون تاريخ .

وكتاب الدكتور المرزوقى عبارة عن 20 مقالة تطرح مسائل هامة حساسة خطيرة وتحاول لا إبداء الرأى فيها فحسب بل إيجاد بعض الحلول لها فى منهجية علمية والتزام وطنى .

أهم تلك المسائل : التغريب اللغوى والاجتماعى والعقلى والاساءة الى الانسان العربى والتراث والمستقبل العربى المجهول نظرا لوضع العرب الحالى المزرى لكن غيرة الدكتور المرزوقى على الامة العربية والتزامه خدمتها بمتواضع وسائله ونظرته الواضحة الصريحة الى الواقع العربى كل ذلك يجعله متفائلا يرى فيه شبها بالحالة التى كان عليها العرب قبيل بعثة الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ويتمنى بل يتكهن بأن يكون المستقبل كذلك شبيها بما أصبحت عليه الامة العربية على يد محمد بن عبد الله باعث هذه الامة ومؤسسها وحاميها الى يوم الدين .

ويعترف الدكتور المرزوقى بالواقع المرير غير المشرف فيقول بغاية التألم ونزيف الجرح : « لم نجد الى حد الآن حلا مرضيا لمشكلة ناقة البسوس لم يجر الى حد الآن العمل بوقف اطلاق النار بين داحس والغبراء ... بصراحة أنا لم أهضم ـ الى هذه اللحظة ـ ما فعلته بكر بتغلب وفظائع تغلب تجاه بكر ، أما حروب ملوك الطوائف وتواطؤ البعض منهم مع ملوك قشتالة فهو جرح ينزف فى ذاكرتى ولن يندمل أبدا » .

لكن إيمانه قوى بأن قدر العرب الوحدة غدا أو بعد غد وبأن العرب سيطؤون المريخ غدا أو بعد غد وسيتبوؤون غدا أو بعد غد المقام الذى تبوؤوه فى أول الاسلام لان محمد بن عبد الله ما زال حيا فى ذاكرتهم بوجود القرآن ساطعا وضاحا ولن يتخلى عنهم أبدا .

ويقدم الدكتور المرزوقى تحليله ووجهة نظره للخطة التى ستضمن الوصول الى المريخ فيرى أن البداية التى ستنطلق منها المغامرة يتطلب اعادة صياغة الانسان العربى فأولى الخطوات أن نحكم على أنفسنا وواقعنا بأقصى التجرد والموضوعية لكى نتعلم من أخطائنا فنتقدم بفضلها ، وثانى خطوة هى حب العمل وجودته واتقانه وثالث خطوة تهيئة الجيل الجديد لكى يكون جيل العلم والتكنلوجيا واعتماد جميع الوسائل لبلوغ هذا الهدف ومن تلك الوسائل تعويد النشء منذ طفولته بالعلم والتكنلوجيا بقصص علمية كقصة التقدم الالكترونى فى جميع الميادين وقصة الصواريخ والاقمار الصناعية والمحطات الفضائية وغيرها وهذا على سبيل المثال فقط فالميادين التكنولوجية شاسعة يكاد لا يحصى عددها اليوم .

فبذلك نغرس فيهم العقلية العلمية الواقعية ونبعدهم عن العقلية الخيالية المتخلفة .

ويختتم الدكتور المرزوقى بقول إيليا أبى ماضى وهو شاعره المفضل :

اذا الامس لم يرجع فان لنا غدا
نضيء به الدنيا ونملؤها حمدا
فان نفوس العرب كالشهب تنطوى
وتخفى ولكن ليس تبلى ولا تصدا

ويلذ لنا في آخر هذا العرض السريع أن نتعرض الى دفاع الدكتور المرزوقى عن لغته لغة الضاد منوها بالمجهودات الجبارة التى بذلت فى سبيل احيائها واعادة مكانتها بالرغم من المقاومات العنيفة ضدها ولا يجهل أحد أن الاستاذ محمـد مـزالى هو صاحب تلك الجهود وأن اللغة العربية فى بلادنا ومستقبلها ومصير الشباب العربى فيها تربويا وعلميا ستتذكر له أبد الدهر أياديه البيضاء وهو القـائل :

« إن تاريخ الحضارات يكاد يكون انعكاسا للتقابل بين الفكـر الحـر والمجتمع المحافظ بين قوى التقدم الحية وعناصر الرجعية المتجمدة » (انظر الفكر ديسمبر 1969) .

ويختم المرزوقى قائلا :

« المطلوب هو متابعة الجهود المكثفة التى بدأها السيد محمد مـزالى لاحلال العربية فى المركز الاول خاصة فى التعليـم الثـانوى وفى المواد العلمية » .

والله ولى التوفيق .

محسن بن حميده

ننشـر فى الأعـداد القـادمة

دراسة : مؤسسة الفندق	**أبو بكر عبد الكافى**
دراسة : ابداعات نعيمه الصيد	**رابح لطفى جمعه**
دراسة : العرب واثراء الدراسات الطبية	**د. حسن أحمد ابراهيم**
دراسة : مع أبى نواس في جنته المصطنعة	**يوسف الحناشى**
قصيدة : حديث الفؤاد النباتى	**يوسف رزوقه**
قصيدة : معزوفات من نشيد الحداد	**عبد الله مالك القاسمى**

قراءات سريعة

كتاب للرحالة المحدث أبى عبد الله الفهرى السبتى :

لقد صدر الجزء الثالث من كتاب « ملء العيبة بما جمع بطـول الغيبـة فى الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة » للرحالة المحدث أبى عبد الله الفهرى السبتى وهذا الجزء خاص بالاسكندرية ومصر عند الورود وهو صورة حيـة ناطقة بما كان للاسكندرية والقاهرة من نشاط علمي وجهد فكرى حين زيارته لهما عند الورود فى طريقه الى الحج سنة 684 هجرية وخاصة فى ميدان الرواية والدراية الذى كان قد شغل اهتمامه ومركز تعلقه .

والكتاب من تحقيق سماحة الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة مفتى الجمهورية التونسية وهو مسبوق بتقديم قيم ضاف فى 62 صفحة بعد إثبات كافة المصادر والمراجع كما هو متبوع بملحق وسلسلة فهارس لا تقل عن 130 صفحـة فى الآيات والاحاديث والاخبار والاشعار والاعلام والامـاكن والبلـدان والكتـب والتـراجم .

كتاب للتعريف بفرقة مدينة تونس للموسيقى العربية :

صدر لفرقة مدينة تونس للموسيقى العربية كتاب فى التعريف بالفـرقة وبمسيرتها منذ تأسيسها سنة 1977 ويشتمل على أوبريت « الغصون الحمر » فى موضوع الثورة الفلسطينية وأوبريت « من أغانى الحياة » للشابى ولوحات « سرحان والمأسورة » (شعر : توفيق زياد) وقصائد حب الى لبنان (شعر : عبد الحميد خريف) كما يشتمل الكتاب على فهرست انتاج الملحنين من تونس وغير تونس الذين وزع لهم الفرقى التوزيع الموسيقى .

فطوبى لفرقة مدينة تونس وشكرا لها على أعمالها الجيدة الممتازة والى الامام فى درب الموسيقى الرفيعة .

احصاء وتلخيص وثائق خير الدين :

صدر عن مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية المتفرع عن الجامعة التونسية فى « سلسلة الوثائق والمصادر والمراجع » العدد 2 فى « إحصاء وتلخيص وثائق خير الدين » للاستاذين أحمد عبد السلام وحسين الحداد وإنه لعمرى عمل قيم محمود سييسر استعمال تلك المصادر والانتفاع بها من المؤرخين والباحثين اذ اليهم خاصة يتوجه هذا العمل .

الجامع الميسر :

صدر عن دار العلماء بتونس الجزء الثانى من كتاب « الجامع الميسر » لمحمود الشبعان وهو خاص بأحكام الصوم والزكاة وهو كتاب واف ضاف فى الموضوع حسن الترتيب واضح العبارة يميل احيانا الى التبسيط .

فشكرا على هذا العمل المبارك والى الامام سعيا فى إرضاء الله وإنارة المسلمين .

المجلة العربية للثقافة :

صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

- العدد الاول للسنة الثانية من « **المجلة العربية للثقافة** » .
- والعدد الثانى من « **المجلة العربية للبحوث التربوية** » .
- وكتابان الاول فى « **تربية المتفوقين عقليا فى البلاد العربية** » .

والثانى فى « **مشكلات المرأة العربية فى التعليم والعمل** » .

وكل هذه المنشورات جديرة بالمطالعة والاهتمام .

مجموعة قصصية للاديب المغربى : محمد صوف :

« عصافير والبحث عن أوكار » مجموعة قصصية للكاتب المغربى محمد صوف يتناول فيها مشاكل من صميم الواقع المغربى الذى هو فى الحقيقة واقع جميع الامم المتخلفة أو قل تفاؤلا : السائرة فى طريق النمو .

قصص طريفة خفيفة لذيذة المطالعة كتبت في سنوات ما بين 1975 و 1978 وصدرت عام 1982 وليعلم القارىء أنها المجموعة الرابعة للكاتب بعد « تمزقات » (1978) – ورواية « رمال ولها الكى » (1980) – ومجموعة « حالات معتادة جدا » (1981) .

ديوان شعر باللغة الفرنسية :

« **البحيرة الملتهبة** » صدر باللغة الفرنسية ديوان شعر للآنسة بهيجة قعلول بعنوان : البحيرة الملتهبة (Le Lac en Flammes) يزخر رقة وحساسا ووطنية وطهارة وصمود تجاه عالم التفاهات والرذيلة والابتذال ، إن بهيجة لفتاة شجاعة إذ لا تستسلم بالرغم من حزنها ونقمتها الى اليأس فنراها تقبل الحياة وتواصل مسيرتها فيها موفورة الكرامة مرفوعة الرأس .

فشكرا لبهيجة ولتواصل عطاءها الرائد النظيف .

نشرية اخبارية :

صدر عن الحجرة التجارية والصناعية التونسية الفرنسية العدد 19 من نشرتها الاخبارية ويتناول هذا العدد العلاقات التونسية الفرنسية من خلال اجتماع اللجنة الكبرى المشتركة المنعقد بباريس أيام 17 – 18 – 19 مارس 1982 ونخص بالذكر في هذه النشرة كلمة سفيرنا بفرنسا السيد الهادى المبروك التى تمتاز بالوضوح والصراحة وبعد النظر .

من جامعة بلغراد :

صدر ببلغراد هذه السنة 1982 باللغة اليوغسلافية تحت اشراف كلية فقه اللغة فيجامعة بلغراد كتاب للاستاذ داركو تناسكوفيتش (Darko Tanaakovic) بعنوان : « اللغة العربية في تونس المعاصرة » يتناول مظاهر مختلفة للتعبير اللغوى فى تونس متعرضا خاصة الى ثنائية اللغة وازدواجيتها وجميع أعضاء هيئة « الفكر » يشكرون لتناسكوفيتش هديته اللطيفة المتمثلة فى نسخة من كتابه المذكور .

من منشورات « قصص » :

« **الوجه الآخر للحكاية** » مجموعة قصصية من منشورات « قصص » للاستاذ إبراهيم بن مراد يغلب عليها الطابع المشكلى بل قل المأسوى فى شجاعة وجرأة وعراء عن طريق لوحات خاطفة تذكرنا بالتركيب السنمائي . وتعود القصص كلها لسنوات 1969 – 1972 كتبها ابراهيم بن مراد ولما يزل طالبا بكلية الآداب ولم تنشر مجموعته الا سنة 1982 .

وهذا يطرح من جديد مشكل بل مأساة النشر فى بلادنا الى زمن غير بعيد وبدون تعليق .

رقصة البركان :

مجموعة شعرية للشاعر مصطفى الحبيب بحرى جمع فيها قصائد وطنية يتراوح تاريخها بين سنوات 1956 و 1960 .

عمل محمود لئلا يتلاشى ذلك العهد البطولى للمقاومة التونسية والصمود من أجل استرجاع الكرامة .

لذة الكتابة عن سقوط الحضارة :

صدر عن دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء بالمغرب الاقصى كتاب للاستاذ مصطفى النهيرى بعنوان : « لذة الكتابة عن سقوط الحضارة » يتناول مشاكل حيوية مصيرية بطريقة جريئة جدا تكشف عن المساوىء والاعوار والتناقضات التى لا تدع أى مجال فى الحال الى التفاؤل والامل شأن جميع مؤلفات مصطفى النهيرى من « أزمة الفكر العربى » (1972) و « محنة العقل المبدع » (1973) الى كتابنا هذا (1982) .

وفى الكتاب سبعة فصول ما بين « الفاتحة الشجية » و « ختامه مسك وريحان » أهمها الفصل الاول « لذة الكتابة عن مناقب الفصاحة العربية » والثانى « وهم العيد عند المحرومين » والسادس « العقلية العربية فى مهرجان الحضارة » .

الامضاء : **محسن بن حميده**

● بوح العاشق :

هذا عنوان مجموعة شعرية صادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1980 للشاعر الصديق مفرج كريم المولود فى 3 / 9 / 1944 والمتخرج من جامعة عين شمس عام 1968 .

المجموعة الشعرية تحوى 18 قصيدة تتفاوت شكلا ومضمونا الا أنها تتفق جميعها فى كونها شعرا حرا يحبل بالصور الجميلة ويفيض منه دفق المعانى الموحية بشىء غير قليل من الحزن العربى أمام ... الرقص مشتعل فى الحدائق .. ما زالت الريح تصدح .. والامر ما زال لله .. فيما يروح وفيما يجىء .. ونحن شهود على دكة الراحة الجانبية .. نرقب فى مهرجان الدماء

فصول التخلق ونحن شهود .. تفيض الدماء على جانبينا ونحن شهود .. وينغرس الفصل فينا فنبقى سكوتا ونحن شهود .. ولكننا فى نهاية سهرتنا العائلية .. نشرب كأس الضحك .. (ونحن شهود !) ونغلق ـ خوف الدماء ـ شبابيك حجرتنا الداخلية (ونحن شهود !) .

حقا إنها لمأساة الانسان العربى الذى يشهد كل يوم جريمة تقترفها ضد وجوده القوى الامبريالية الصهيونية ولكنه لا يحرك ساكنا .. واذا تحرك ساكن منه فانه اللسان .. واللسان لا غير ؟ والحقيقة أننا ..

لو تحركنا لحركنا السواكن ..

لشنقنا الزمن المشبوه فى كل الاماكن ..

نشكر الصديق الشاعر مفرج كريم على النسخة التى وصلتنا هدية منه لنا ونرجو له تواصل العطاء الشعرى وتدفق هذا البوح العاشق .

● **يوميات متسكع محظوظ :**

هذا عنوان أول مجموعة شعرية تصدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر للشاعر الجزائرى الصحفى سليمان جوادى وهو من أبرز الشعراء الشبان بالجزائر .

وتحتوى هذه المجموعة الشعرية على 80 صفحة من القطع المتوسط وتضم تسع عشرة قصيدة منها : صلاة فى معبد الكلمات ، أغنية لم يلحنها الشيخ إمام ، ما سر القمة يا أماه ؟ ، عرافة الحى ، بجرحى أضمد جرحك ، ويقول فى هذه القصيدة :

سأعود على كفي قدري ..

سأعانق نخلا فى الغيطان أداعب عرجونه

سأغازل زيتونه ..

سأعود اليك بآمالى وبآهاتى ..

وأضمد جرحك يا وطنى بجراحاتى .

نشكر الصديق الشاعر سليمان جوادى على النسخة التى قدمها لنا هدية حب وإخاء ونرجو له تواصل العطاء .

● **أوجاع فلسطينية :**

هذا عنوان مجموعة شعرية صادرة عن « منشورات دار البيرق بعمان ـ الاردن للشاعر الفلسطينى : عبد الله منصور المقيم بالاردن » .

تحوى المجموعة 104 صفحة من القطع الظريف وتضم سبع عشرة قصيدة ، بعد الاهداء وكلمة الناشر نقرأ : « عشرون بطاقة لامرأة تتقن الحب ، يا مساء الشعب ، العزف على رموش امرأة رائعة ، ما تيسر من سفر الخيانة ، حينما

تكون الافراح ذنوبا ، الرحيل على حد السكين ، الخوف لا يليق بالفرسان ، الموت حتى حيفا ، أوجاع فلسطينية وفيها يقول :

زرعتك جرحا لأجنيك سنبلة ما جنتها يدان ..
وعمدت ريحا بخاصرتى كى أموت لأجلك فى كل آن ..
فكونى مكان التوجع دوما .. وكونى اشتعال الزمان .
فانى مسيح تعود هذى الهموم .. ولا زال فى مقلتى حكايا
عن الامهات اللواتى فقدن الامان .
فمنذ انصلبنا تزاوج فينا العذاب ، فصرنا
كبحر وأفق بعيدا عن البر والعين يلتقيان .

نشكر الصديق الشاعر عبد الله منصور على النسخة التى قدمها لنا هدية حب وأخاء على طريق الجراحات الفلسطينية التى أرهقتنا .. وأنى للشعر أن يكون بلسما للجراح اذا ما اتسع فينا الجرح على الراتق ولكنا نقول كما قال طاغور : « **مهما يكن من أمر .. فلن أرتكب الخطيئة الخطيرة .. خطيئة عدم الايمان بالانسان الشرقى .. خطيئة الرضوخ للهزيمة التى حاقت بنا فى الحاضر .. على اعتبارها نهاية .. وحاسمة** » .

● **وحرسنى الظل :**

مجموعة شعرية هى أحدث ما أمكن لى الاطلاع عليه من الشعر الجزائرى .. أصدرتها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1981 للشاعر : إزراج عمر .

وتحتوى المجموعة على 112 صفحة من القطع المتوسط وتضم خمس عشرة قصيدة منها : سيناء ، الموناليزا ، سقوط حوار ، على باب قصر الحكومة ، الهبوط الى القصبة ، صليحة التى يقول فيها :

ويكتب أن البلاد امرأه
نفض بكارتها فى الشوارع .. يكذب كان
أنا ما احترفت الكذب
لذا كثر القاتلون حوالى .. والخادعون ..
أنا ما خدعت الصداقه ..
لذا تركونى وخانوا .. متى يجلس الغيم حتى
تكف السماوات عن حزنها والبكاء
أنا لا أقول : أحب بلاد التوهم ..
أنا لا أقول : نموت .. نموت ويحيا الوطن
لأن الخنازير تسكنه بعدنا ــ يا زمن !

الامضاء : **الصادق شرف**

ندوة القراء

● **رسالة اعجاب من الجزائر :**

وصتنا رسالة الصديق نوار كمباركيه من باتنة ، الجزائر ، نشكـره على عواطف النبل ومشاعر الاعجاب بشخصية الاديب الاستاذ محمد مزالى وبكتاباته وآرائه ونقتطف من رسالته ما يلي يقول مخاطبا الاستاذ محمد مزالى :

« .. بمجرد أن وردت علي مجموعة مؤلفاتكم القيمة شـرعت فى قـراءتها بشغف واهتمام كبيرين ، ولا أكاد آتى على نهاية موضـوع فى كتـاب مـا الا وأجد نفسى مضطرا فى لهفـة لا تقـاس وشـوق لا يقـدر للاستمـرار مـع الموضوع الذى يليه دون أدنى انتظار أو توقف وهذا يعـزى لما تخفيـه هذه المواضيع من جاذبية للقارىء مهما كان مستواه وكيفما كانت درجة علمه دون التطرق الى الميول والرغبات والاتجاهات لان كتاباتك اتسمت بالدقة والوضوح والعمق والانفتاح لانها ـ ولا ريب فى ذلك ـ وليدة « فكر » ـ تخطى الحواجز الوهمية والحدود الخيالية والعراقيل المصطنعة التى تجعل سقف الفكـر قزما يهدم ويتهدم بمرور الزمان وتعاقب الاجيال وتبـدل المكـان ـ إنـه « فكـر » الانسانية جمعاء شاملا كاملا يترفع عن الفوارق ولكنه يوحـد الطموحات .

وعلى هذا سيبقى « فكرك » ـ بحول الله ـ شامخا ، عاليا ، وسيشق طريقه بأمن وان تكدر صفو الفكر العالمي وأصابه الشلل وهرع أهله الى « القصـور العاجية » كما كنت تردد .

فكتاباتك التى مر عليها ربع قرن ونيف تبدو لأول وهلة وكأنهـا (بنت) الأمس واليوم القريبين .

فعندما قرأت لك ـ وما زلت أفعل يا سيدى ـ تيقنت من أمرين :

① إن العرب ـ بخير ـ والحمد لله ـ ولكن وجب عليهم أن يحاربوا الانانية فى نفوسهم ويستأصلوا علتها بالجملة لان الافراط فى استعمـال المسكنـات والمهدئات والمضادات الحيوية : « Antibiotique » وقد يهيج الجرح ويقـوي العلة وبذلك تسمي ساعة الاحتضار قريبة . وان يتحركـوا حـركة جمـاعية وككتلة واحدة ليرفعوا شأنهم بين الامم لان الاتكال على الغير يحمل بذور الفناء ولا يحمل بذور البقاء .

② إن من قال : إن العرب عاجزون عن التفكير هو على خطأ . ومن قال : إن العبقرية العربية تتوقد فى الشرق العربى دون غربه ، فقوله مردود عليه وان احتجوا فى ذلك أقول لهم : هل تسمعون بـ « محمـد مـزالى » اقرأوا له ولا تحسـدوه .

أصداء الفكر

● المؤتمر العالمي الثاني للسياسات الثقافية :

بعد أن سبق لها أن نظمت المؤتمر الاول للسياسات الثقافية بالبندقية سنة 1970 قامت منظمة اليونسكو في شهر أوت 1982 بتنظيم المؤتمر الثاني بمكسكو بعد أن مهدت له بتنظيم مؤتمرات اقليمية وباعداد دراسات مدققة .

وقد حضر هذا المؤتمر الاستاذ محمد مزالي وألقى خطابا بيانيا هاما تجدونه في هذا العدد من « الفكر » وفي ركن « الى القارىء » .

وقد وضعت منظمة اليونسكو مشروع جدول أعمال المؤتمر على نحو يشمل أمهات القضايا الثقافية التي تشغل بال الانسانية اليوم بصفة ملحة ... « على اعتبار أن الثقافة ليست بعدا من أبعاد التنمية ووجها من وجوه العلاقة بين الامم والشعوب فحسب ، بل هي منطلق أساسي لكل عمل تنموي صحيح ولتعامل الشعوب وتعارفها وهي مناط القيم والمثل والفكر الموجه لمسالك التنمية الشاملة والضابط للتعاون بين الدول والشعوب المحددة لغاياته ومقاصده ... » هذا ما جاء في كلمة الاستاذ البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية بتونس .. وقد ختم كلمته القيمة بما يلي :

ليس غرضي استعراض كل المشاريع الثقافية التي لاقت العون والتأييد من اليونسكو وهي المنظمة التي نتعاون معها بدون حساب لا من أجل ما نتلقى من عون من جانبها ، ولكن كذلك من أجل ما نريد المساهمة فيه في نطاق الرسالة العظيمة التي تضطلع بها والمتمثلة في خدمة ثقافات العالم والنهوض بها . وان هذه الروح هي تحدوني عندما أرى من واجبي ذكر العراقيل التي تقف حجر عثرة في سبيل تحقيق هذه الرسالة التي بمقتضاها تعتبر تونس نفسها معنية بالذات ولو كان ذلك مسرحه بلدان أخرى من العالم ، نظرا الى الغبن والجهل اللذين يستهدفان المبادىء التي نؤمن بها . واذكر من هذه البلدان افريقيا الجنوبية وسياسة التمييز العنصري المتبعة هناك التي تعد وصمة في جبين الانسانية في الوقت الذي نشعر فيه جميعا بالحاجة الاكيدة الى جعل كل الثقافات تتساوى في الكرامة والحرية . كما أذكر بكل مرارة ما يلقاه سكان

فلسطين من عنت وقهر وخاصة منهم المثقفين والخلاقين الذين منعتهم سلطات الاحتلال من المساهمة فى ثقافتهم الوطنية والثقافة العالمية بصفة عامة ، هذه المساهمة التى ندعو اليها بكل جوارحنا ونعتبرها قاعدة للحياة الحية ، وكيف يتسنى ذلك والحال أن الكتاب العربى بصفته كتابا عربيا حاملا للفكرة العربية فقط ممنوع التداول !؟ وكيف يمكن التثبت فى أن الفلسطينيين فى الارض المحتلة يمكن لهم ذلك والحال أن اليونسكو ممنوع عليها ارسال ملاحظين موضوعيين لاخبارهم بجلية الامر !؟ وكيف للتراث الثقافى فى هذه الرقعة من العالم أن يقوم بدوره فى بناء الحضارة العالمية اذا عمد القوم من دون أى اعتبار لخصوصية هذا التراث وغزارته الى القيام بحفريات ليس لها من غاية الا خدمة ايديولوجيات معينة تهدد بالانهيار والتشويه معلم المسجد الاقصى ، ومع ذلك فان اليونسكو صاحبة الشرعية الثقافية فى العالم ترى نفسها ممنوعة عن التدخل وحتى المعاينة . وفى الواقع فان الشرعية العالمية كلها مطعون فيها عندما نشاهد بأعيننا باسم حق التتبع الذى يذكرنا بفترات أليمة من تاريخ الانسانية ، شعبا تلاحقه قوى الشر وتتبعه الى الارض التى آوته ثم ان هذه الارض نفسها يسلط عليها من أنواع الدمار ما يذكرنا فى الماضى بفظائع أخرى قامت فى وجهها الضمائر الحية لمديد المساعدة الى رجال حرمهم رجال آخرون حقهم فى الذاتية الثقافية

ومن واجب الينسكو فى نطاق صلاحياتها الشرعية ومن دون ميل الى تجاوزها أن تعمل على وضع حد لهذا الظلم وهذه الفظائع وفى ذلك مصلحة حتى من أعمالهم اللاوعى ، ونأمل أن يكون ذلك وقتيا فى صالحنا وصالحهم .

● ① مركز التعليم العالى للمنشطين الثقافيين :

صدر فى هذه الايام بالرائد الرسمى أمران لهما أهميتهما فى تنشيط الحياة الثقافية بتونس وهما مركز للتعليم العالى للمنشطين الثقافيين وآخر للفن المسرحى .

وهو مركز تكوين المنشطين الثقافيين في مستوى التعليم العالى تحت اشراف وزارة الشؤون الثقافية بتونس . وهو مؤسسة عمومية ذات صبغة ادارية يتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالى .

تتمثل مهمة هذا المركز فى :

تكوين الاطارات للتنشيط الاجتماعى والثقافى ، ورسكلة المنشطين الثقافيين المباشرين ، وتنظيم تربصات لتحسين المستوى فى ميدانى التنشيط الثقافى خصوصا وتكوين الاطارات العمل الثقافى عموما ، والنهوض بالبحث الاساسى والتطبيقى فى ميدانى التنشيط والتنمية الثقافية .

لهذا المركز صبغة عربية اقليمية وله صلوحية ربط صلات التعاون مع المؤسسات والجمعيات الثقافية ومعاهد التعليم العالي والبحث داخل البلاد التونسية وخارجها .

تدوم الدراسة فيه أربع سنوات مقسمة الى مرحلتين مدة كل مرحلة سنتان . ويشتمل التعليم على دروس واشغال تطبيقية ومسيرة تضمن للطلبة تكوينا عاما . والقيام ببحوث وتدخلات ميدانية تضمن للطالب تكوينا مختصا في التنشيط الثقافي .

ويضم المركز ورشات خاصة بوسائل التنشيط الثقافي كالمسرح والسنما والموسيقى والوسائل السمعية البصرية وغيرها ويوزع فيها الطلبة حسب الميول والاستعدادات .

● ② **مركز الفن المسرحي :**

تتمثل مهمة مركز الفن المسرحي في تكوين اطارات المسرح من منتجين ومنشطين وباحثين ومدرسي التربية المسرحية واخصائي التصرف والتقنية المسرحية والتكوين المستمر لاطارات المسرح المباشرين وذلك للنهوض بالبحث الاساسي والتطبيقي في مجالات التكوين والتنشيط والوسائل التربوية المسرحية .

ويشتمل التعليم بمركز الفن المسرحي على دروس نظرية وندوات واشغال مسيرة تطبيقية تضمن للطالب تكوينا عاما تليها بحوث واعمال ميدانية ورشات فنية تضمن للطالب تكوينا مختصا في فن المسرح .

● **المؤتمر العالمي الخامس حول الولايات العربية في العهد العثماني :**

اختتم الاستاذ البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية ورئيس تحرير مجلة « الفكر » المؤتمر العالمي الخامس حول الولايات العربية ومصادر وثائقها في العصر العثماني الذي انتظم هذه المرة بتونس خلال شهر سبتمبر 1982 .

وقد جاء في الكلمة القيمة التي اختتم بها المؤتمر ما يلي :

ولقد كان لاختياركم تونس مكانا للمؤتمر أبلغ الاثر في نفوسنا ، ذلك أن يسعدها أن تحتضن مثل هذا الجمع الكريم من العلماء والباحثين ، وأن يجدوا فيها المناخ الملائم لاعمالهم الجادة وبحوثهم ومناقشاتهم المثمرة ، ولقد راهنت تونس البورقيبية على الانسان في كافة مساعيها ومشاريعها الانمائية المعاصرة فاتخذت منه الغاية والوسيلة لكل مجهود انمائي ، ووجهت عناية بينة الى

تاريخها وآثارها في مختلف الحقب والعهود فطورت المعهد القومي للآثار والفنون ، وشجعت البحث العلمي في مجال التاريخ ، وتعاونت مع الكثير من البلاد الصديقة والشقيقة على انجاز حفريات وتحقيق اكتشافات تاريخية ذات أهمية على المستوى الانساني .

● دار الكتب الوطنية ومقرها الجديد :

عرفت هذه الدار باسم « مكتبة العطارين » وتوجد على مقربة من جامع الزيتونة المعمور بالعاصمة التونسية . وهي من أهم المكتبات في المغرب العربي . وقد أصبحت « المكتبة الوطنية » مؤسسة عامة قائمة الذات تتبع وزارة الشؤون الثقافية وذلك سنة 1957 بعد أن مرت بمراحل تاريخية عديدة.

وقد أعيد تنظيم هيكلها سنة 1982 وفق أربع دوائر رئيسية وهي : دائرة المخطوطات ـ دائرة الدوريات ـ دائرة الفهرسة ـ دائرة التوثيق . كما ستضاف لها في المستقبل دائرتان تهتمان بكل ما له علاقة بالتوثيق السمعي والبصري ووثائق الخرائط والصور ونماذج التصاميم والاسطوانات ويتمثل رصيد دار الكتب الوطنية في :

700 ألف كتاب ، 25 ألف مخطوط ، 10 آلاف مجموعة من الدوريات ، 3 آلاف دورية جارية تصدر في جميع أنحاء العالم بصفة منتظمة .

وأمام تزايد ذلك الرصيد يوما بعد يوم وأمام عدد المشتركين فيها بصفة مستمرة وأمام عدد الطلبة والتلاميذ الوافدين في تزايد على قاعة المطالعة التي تحتوي على 100 مقعد أمام كل هذا التزايد تجد دار الكتب الوطنية نفسها مضطرة الى توسيع ان لم يكن تجديد مقرها . ولذلك سيقع الشروع قريبا في بناء الجزء الاول من المقر الجديد لدار الكتب الوطنية ، والذي سيكون بحق مفخرة لتونس أمام العالم ، وهو ما سيمكن من تحسين عملية حفظ الكتب المكدسة .

● الالكسو ومكتب التربية العربي بالخليج :

على المدى الزمني الممتد من 14 الى 17 سبتمبر 1928 انعقد بتونس العاصمة في مقر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الاجتماع الثاني للتنسيق والتكامل بين الالكسو ومكتب التربية العربي الخليجي الذي يهتم بشؤون الثقافة والتربية والعلوم في دول الخليج العربي ومن زاوية تطابق نشاط الالكسو والمكتب كان هذا الاجتماع خدمة للثقافة والفكر في الوطن العربي لوضع خطة للعمل المشترك لدفع المسار باتجاه معالجة قضايا جوهرية كقضية

التعريب ونشر الثقافة الاسلامية العربية في الخارج وتنسيق التعاون مع المنظمات العالمية المهتمة بالثقافة والعلاقة مع جمعية الاسلام والغرب ومشروع ترجمة كتاب المفكر..روجي غارودي : عطاء الاسلام . واصدار كتاب التربية العربية الاسلامية بالتعاون مع المجمع الملكي السعودي لبحوث الحضارة الاسلامية واصدار كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية .

● **معرض للفن التشكيلي التونسي في براغ :**

احتضنت عاصمة تشكسلوفكيا « براغ » معرضا للرسوم التشكيلية من انجاز الفنان التونسي عبد المجيد البكري. وقد دام المعرض طيلة شهر جويلية 1982 . واحتوى على مجموعة من اللوحات الزيتية في اكبر قاعات العرض ببراغ الموجودة في قلب ساحة الجمهورية قرب متحف لينين وتسمى : « ليبيرنو » .

ويدخل هذا المعرض في نطاق التبادل الثقافي بين تونس وتشيكسلوفكيا ويعتبر أول معرض شخصي بالخارج توافق عليه وزارة الشؤون الثقافية ذلك أنها في العادة توجه للخارج معرضا جماعيا يمثل عدة نماذج من الرسم التونسي .

ولئن كانت أعمال الفنان عبد المجيد البكري قادرة على أن تكون ممثلة للفن العربي في تونس فان وزارة الشؤون الثقافية أحسنت عملا اذ وافقت على أن يكون هذا المعرض خاصا بالفنان البكري وفي تشجيعها للاعمال والجهود والمجهودات الشخصية لفنانينا شحن للعزائم الصادقة وتدعيم للمواهب الشابة الواعدة بعطاءات فنية رائعة في مستقبل عطائها الذي لا يزيده التشيع للتفتح على الخارج الا اكتساب تجارب جديدة وامتلاك إضافات أخرى تثرى الابداعات وتخرج بها من الاقليمية الضيقة وتعطيها الصفة الانسانية .

وما أحوج فنانينا وأدبائنا وشعرائنا الى اجتياز الحدود نحو العالم الارحب!! خروجا من الشرنقة وانطلاقا في التحليق بعيدا في آفاق جديدة لا تزيد الافق التونسي الا نجوما لامعات في مستوى رجالات الفن العالمي .

● **شاعر فلسطيني يفوز بالمانيا :**

ألقى الشاعر الفلسطيني الشاب : الطاهر العربي في الندوة الشعرية المركزية التي نظمتها الشبيبة الالمانية في مدينة « شفيرين » عدة قصائد باللغتين العربية والالمانية وقد أدان في شعره الهجمة الصهيونية التي تقوم بها اسرائيل على الابرياء من أطفال ونساء وشيوخ من الشعبين الفلسطيني واللبناني .

وقد فاز الشاعر بجائزة الندوة التقديرية . تهانينا له واقرارنا بأن على الشباب العربى كله أن يكون الصوت المرتفع فى كل المحافل الدولية الادبية وغيرها باسم قضايانا العربية فى جميع أنحاء العالم مواجهة جادة وصادقة لدعاية الصهيونية .

● **الكاتب اليوغسلافى ميزا سليموفيك فى ذمة الله :**

يعتبر الكاتب اليوغسلافى ميزا سليموفيك من أبرز الكتاب اليوغسلافيين المعاصرين وهو من مناضلى جماعة « تيتو » فى الاربعينات ضد الاحتلال الالمانى الايطالى واهتم بعد الاستقلال بالاعمال الثقافية فى يوغسلافيا .. وله روايتان شهيرتان ترجمتا الى ثلاث لغات عالمية وهما : « الدرويش والموت » و « القلعة » وهو مختص فى الفلسفة ورئيس قسم الانسانيات فى جامعة بلغراد وقد وافاه الاجل أخيرا عن عمر يناهز الثانية والسبعين عاما .

● **المهرجان العالمى للشعر بأستروقا :**

على مدى المساحة الزمنية الممتدة من يوم 26 أوت 1982 الى نهايته انتظم المهرجان العالمى للشعر بأستروقا وهو المهرجان الواحد والعشرون وقد شارك في هذا المهرجان ما يناهز ثلاثمائة شاعر وشاعرة وصحافى من جميع انحاء العالم وقد تمثلت المشاركة العربية فى حضور عدد من الشعراء العرب نذكر منهم الشاعر الفلسطينى يوسف الخطيب ويمثل سوريا. والشاعر الفلسطينى عبد الله منصور ويمثل الاردن . والشاعر الصادق شرف ويمثل تونس . والشاعر عزالدين اسماعيل ويمثل مصر . والشاعر سليمان جوادى ويمثل الجزائر صحبة الشاعر د. عبد الله حمادى وغيرهم .

وسنعود الى هذا المهرجان بالتفصيل فى الاعداد القادمة من مجلة « الفكر ».

● **مجموعة شعرية بالاشتراك :**

ظاهرة المجموعات الشعرية المشتركة فى الشرق العربى قد أخذت دورها على الساحة الادبية منذ أواخر السبعينات .. حيث قرأنا عدة مجموعات مشتركة مثلا للشاعر السوري مصطفى النجار والشاعر المغربى محمد علي الرباوي وغيرهما كثير ، وهذه « الأخلاء » تصدر أول مجموعة شعرية مشتركة فى تونس فتفتتح بها الموسم الثقافى 82 ـ 83 كأول عدد لها من سنتها الخامسة .

وتحمل هذه المجموعة المشتركة عنوانا هو « **لغة الاغصان المختلفة** » ويشارك فيها خمسة شعراء شبان هم : الحبيب الهمامى والصادق شرف وعبد الله مالك القاسمى وكمال قداوين ويوسف رزوقه .

وتضم هذه المجموعة الشعرية المشتركة خمسة عناوين داخلية هي على التوالي : « أسميك نصفي للهمامي » و « الحب بالاجماع لشرف » و « قراءات أولى في سفر التوحد للقاسمي » و « الرحيل في غياهب الكتابة لقداوين » و « قصائد مندسة بين اللطن والثلج لرزوقه » وتحتوى على 96 صفحة من القطع الظريف .

نبارك هذه الظاهرة الثقافية التى أقل ما يقال فيها : إنها أجهزت على المعتاد ونشجع « الأخلاء » على هذا التلاحم الادبى وعلى التواصل مع الشعراء الشبان وعلى التمادى فى نشر الآثار الادبية من حسن الى أحسن لتكون فى مستوى التوقع بعد أن سايرت الواقع ردحا من الزمن لتشجيع الادباء الصاعدين بنشر باكورات أعمالهم الادبية .

● **تهانينا الى الاديب : توفيق بوغدير :**

باسم أسرة « الفكر » نتقدم الى صديقنا الاديب الاستاذ توفيق بوغدير بأصدق عبارات التهانى بمناسبة تعيينه رئيس تحرير مجلة الاذاعة والتلفزة التونسية راجين له التوفيق فى مهمته الجديدة ولمجلة الاذاعة والتلفزة دوام استمرار .

● **أسبوع السنما اليوغسلافية بتونس :**

انتظم فى شهر جوان 1982 بدار الثقافة ابن خلدون الاسبوع السنمائى اليوغسلافى تحت اشراف اللجنة الثقافية القومية وسفارة الجمهورية الاشتراكية اليوغسلافية بتونس وقد تضمن مجموعة من الافلام الجديدة منها :

شريط « الصحفى » اخراج فاضل هاذزيق . وشريط « سر يحمله نيكولا تيسلا » اخراج كروستو بابيك . وشريط « تاج باتريا » اخراج كارانوفيك . وشريط « من الذى يغنى هناك » اخراج سلوبارن سيجان . وشريط « الزمن الماء » اخراج برانكو كابو . وشريط « الاوراق واسعة جدا » اخراج لاتونوفيك. وشريط « فصل السلام فى باريس » اخراج بريدراغ غولوبوفيك . وشريط « سبازم » اخراج بورزو سبارجك . وشريط « هل تذكر دولى بيل » اخراج أمير كوستوريك .

والذى يجب أن نشير اليه ان السنما اليوغسلافية هى من أقدم السنماءات فى أوربا .